

جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanités and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة و الأورطفونيا
Department of Psychology, Philosophy, and Speech Therapy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د.
تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

العنوان:

قراءات إبستمولوجية في أزمة المواطنة والفلسفة في الفكر الغربي الحديث جون جاك روسو انموذجا

إشراف:

-الأستاذ حاج راتية

إعداد:

- مشاش العيد

- شلولي يوسف

لجنة المناقشة

الصفة	الرتبة	الأستاذ (ة)
رئيسا	أستاذ محاضر أ	أ. بوعمود أحمد
مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد أ	أ. راتية حاج
مناقشا	أستاذ محاضر أ	أ. حفصة طاهر

الموسم الجامعي : 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك

تم بحمد الله و عونہ و قوتہ إتمام مذكرتنا

نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا القدير حاج راتية على

مساهمته الفعالة بتوجيهاته ونصائحه والتي كانت عوناً

كبيراً لنا لإنجاز هذا العمل

المتواضع

كما نتقدم بشكرنا لكل الأساتذة قسم الفلسفة بكلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية بجامعة ابن خلدون كل باسمه

وجميل وسمه

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله
إلى من كان ولا يزال السند في حياتي
إخوتي وأخواتي بآرك الله لي فيهم
إلى زوجتي " ذات الشيم " جعلها الله ذخرأ في
حياتي إلى ابنتاي الصغيرتين وكل أطفال العائلة
إلى كل عائلة مشاش دون استثناء
إلى كل محب للفلسفة
إلى جميع اصدقائي وكل من يعرفني..
مشاش العيد

الإهداء

إلى روح أمي العزيزة الغالية
إلى روح أبي الزكية الطاهرة
إلى إخوتي ورفقاء الدرب في حياتي
إلى زوجتي الطيبة جعلك الله نورا
لحياتي
إلى كل عائلة شلولي
إلى كل أساتذة الفلسفة
إلى جميع أصدقائي
شلولي يوسف

المقدمة

يعرف الإنسان من زاوية منطقية بالحيوان السياسي، والمعنى المقصود هنا هو أن الإنسان حيوان مرغم بطبيعته على أن يعيش في المدينة أو الدولة، ويعود مصطلح المدينة في الاصطلاح اليوناني واللاتيني القديم معنى التنظيم السياسي، فالمدينة قبل أن تكون أرضاً هي هيئة جماعية تجمع بين أعضائها وحدة تاريخية ونمط من العبارات والشعائر والمنتمي إلى هذه المدينة هو ما يسمى بالمواطن.

ان تداول مصطلح المواطن في الفلسفة اليونانية والواقع الإغريقي كان يعني القدرة على المساهمة في الحياة السياسية لدولة المدينة ، وقد سبق لأرسطو أن أبدى رأيه من باب هذه الزاوية في تحديده لفكرة المواطنة ، هذا وقد الشغل الفكر السياسي منذ القديمة بإشكالية المواطنة ، خاصة حول تحديد مبادئها وأسمها الأساسية وتعتبر المرحلة الحديثة من تاريخ حلة الحديثة من تاريخ الفكر الغربي من أغنى المراحل في دراسة هذه الفكر كون هذه الفترة شهدت أنساق فلسفية سياسية جديدة تتماشى مع الاكتشافات والتطورات العلمية وتتأسس على مفاهيم جديدة كالحرية والمساواة والقانون ، لذا تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مضامين ومبادئ المواطنة في هذه المرحلة انطلاقاً من أشهر فلاسفة العقد الاجتماعي ومدى إسهاماتهم في بلورة هذا المفهوم.

ويقصد بالمواطنة في التعريف العام والشامل معنى الانتماء إلى الوطن، وعملية الانتماء هنا تشير إلى علاقة المواطن بالوطن في حدوده الجغرافية وتاريخه الثقافي والحضاري، وينتج عنها انتماء المواطن لوطنه، كما تشير إلى علاقته بالمواطنين الآخرين

الذين يشاركونه العيش في الوطن والتي تقوم على مبدأ المساواة الكاملة الحقوق والواجبات والمساواة أمام القانون دون تمييز بين المواطنين على أساس اللون أو الدين أو العرق أو الجنس أو الفكر أو الوضع الطبقي، وينتج عنها احترام المواطنين البعض، وإشاعة روح التسامح بينهم بـ بغض لبعضهم البعض النظر عن مظاهر التنوع والاختلاف، و هي تعني أيضا علاقة المواطن بالدولة التي ترعى شؤونه وتحمي مصالحه.

نحن في هذا العمل لن نتوقف عند التعريف بالمواطنة بقدر ما نقف عند التطور التاريخي للمصطلح أي تتبع مسيرته عبر عصور تاريخية، مع التركيز على واقعه ومضامينه ودلالاته في العصر الحديث من خلال أشهر ممثلي نظرية العقد الاجتماعي لأن من خلال دراستنا لتاريخ الفكر الفلسفي اتضح أن المفاهيم تختلف دلالاتها من لآخر وذلك تبعا للسياق الثقافي والسياسي واللغوي الذي تبلورت فيه.

إن مفهوم المواطنة مفهوم اجتماعي سياسي إنساني متنوع الأبعاد يتأثر بمستوى النضج الفكري والتطور السياسي والحضاري لدى المواطنين وقد عرف هذا المفهوم تحولات جوهرية عبر التاريخ بدءاً من التراث اليوناني مروراً بعصر النهضة والتنوير وصولاً إلى الفكر الغربي الحديث وطرح مجموعة من التساؤلات ما المقصود بالمواطنة؟ ما مدى مساهمة فلاسفة نظرية العقد الاجتماعي في بلورة مفهوم المواطنة؟ ما هي نظرة روسو إلى المواطنة وبالتالي أردنا من خلال هذا البحث الإجابة على الإشكالية التالية

ما هي أسس المواطنة عند جاك روسو ومدى تأثير فلسفته على الفكر الفلسفي الغربي

الحديث والمعاصر؟

لعل من بين الأسباب الذاتية التي شدتنا لاختيار موضوع المواطنة للفكر الغربي الحديث نموذج روسو، هو اهتمامنا بالفيلسوف نظرا لنزعتة الرومانسية الطبيعية، وكذلك طبيعة الموضوع الذي أثاره شغف حب الوطن والوطنية فينا، بالإضافة الى الجانب الأخلاقي أما الأسباب الموضوعية فتكمن في الجانب الإنساني والسياسي التي تتميز بها النزعة الروسية وكذلك أهمية الموضوع في تبيان حقوق الإنسان المواطن وواجباته واحترامه لحرياته. وسوف نسير في بحثنا هذا باعتمادنا على المنهج التحليلي النقدي، لأن دراسة فكر روسو تتطلب الكثير من البحث والتنقيب الذي يرقى الى مستوى الإشكاليات التي طرحها.

تضمنت مذكرة البحث مقدمة للإحاطة بالموضوع وخاتمة، وثلاث فصول مقسمة إلى

مباحث

الفصل الأول: الجذور التاريخية لمفهوم المواطنة، فتطرقنا في المبحث الأول الى مفهوم المواطنة أما المبحث الثاني فتناولنا المواطنة في الفلسفة اليونانية والمبحث الثالث معنون ب المواطنة في الفلسفة الوسيطة.

الفصل الثاني: الإرث الفلسفي لفكرة المواطنة في العصر الحديث حيث تمظهرت المعالجة في مبحثين **المبحث الأول** المواطنة عند توماس هوبز، و**المبحث الثاني** المواطنة عند جون لوك أما المبحث الثالث فكان المواطنة عند مونتسكيو.

الفصل الثالث: حاولنا من جان جاك خلاله إبراز ما تطرق إليه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو صاحب فكرة العقد الاجتماعي " فكان عنوان الفصل روسو والمشروع الفلسفي لإعداد مواطن فاضل وجاء المبحث الأول بعنوان أثر التربية في إرساء المواطنة و**المبحث الثاني**

المواطنة كإلية لتحقيق العقد الاجتماعي. اما المبحث الثالث: تجسيد فكرة المواطن عند روسو وأثرها على الفلسفة اللاحقة، وفي الأخير خرجنا بخاتمة كحوصلة لنتائج بحثنا هذا.

أما عن أهم الدراسات التي عالجت موضوع المواطنة في الفكر الغربي الحديث والتي اعتمدها في عملنا هذا هي مؤلفات جان جاك روسو على رأسها خطاب حول أصل التفاوت بين الناس" والذي يعد المفتاح لقراءة أفكار روسو الفلسفة والسياسية، وكذلك كتابه العقد الاجتماعي"، ومؤلفه "إميل" بالإضافة الي أعمال أخرى تخدم موضوعنا، كأعمال مصطفى النشار وكتاب تطور الفكر السياسي لجورج سبابين بأجزائه.

من بين الصعوبات التي واجهتنا ومنعت سير العمل وفقا للمنى المراد هي ندرة المصادر والمراجع حول الموضوع، وإن توفرت فهي تمت بصلة إلى علم الاجتماع والفلسفة السياسية على الأخص ، فقلما تجد معالجة لمفهومنا بالصيغة الفلسفية التحليلية رغم ذلك فهذه الصعوبات لم تحل دون إنجاز العمل ولم تنقص من عزيمتنا وإرادتنا في إتمام عملنا هذا ، ومن بين الأفاق التي نقترحها هي الإحاطة أكثر بالموضوع وذلك بتعميق البحث وفتح مجال أوسع لفهم علاقة المواطن بدولته، أظف إلى أن طبيعة الموضوع تحمل جانبيين الأول سياسي والثاني اجتماعي، الأمر الذي يستدعي تعقيب أكثر نظرا للانتماء المزدوج للمفهوم.



الفصل الأول
الجزور التاريخية
لمفهوم المواطنة

المبحث الأول: ضبط مفهوم المواطنة.

1. التعريف اللغوي و الاصطلاحي:

يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير (1694/1778): " إذا أردت أن تتحدث معي فعليك أن تحدد مصطلحاتك ومفاهيمك "، وتأكيدا لصحة هذه الدعوة أردنا في هذا المبحث التعريف بمصطلح المواطنة، أي التعريف بالموضوع الذي نحن بصدد دراسته وتحليله، وغالبا ما يكون هذا بداية كل بحث فلسفي، لأن الفلسفة تختلف عن المعارف الإنسانية الأخرى في كونها عالم من المصطلحات أو هي كما يعرفها جيل دلوز إبداع للمفاهيم.

يعد مفهوم أو مبدأ المواطنة من المبادئ التي استقرت في الفكر السياسي المعاصر وهو مفهوم تاريخي شامل ومعقد وله أبعاد له أبعاد عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي قانوني ومنها ما هو ثقافي سلوكي ومنها أيضا ما هو وسيلة أو غاية يمكن بلوغها تدريجيا¹ ويثبت علي خليفة الكواري من الصعوبة أن نجد تعريف مانع وشامل لمفهوم المواطنة كونه مفهوما سياسيا متحركا في صيرورة تاريخية مستمرة متأثرا في ذلك بقيم وعقائد المجتمعات لكن هذا لا يمنعنا من المعالجة اللغوية والاصطلاحية للمفهوم.

إن كلمة مواطن في اللغة الفرنسية يمكن تعريفها من خلال اشتقاقها اللغوي، فهي تصدر عن كلمة سيفيتاس اللاتينية المعادلة تقريبا لكلمة بولس اليونانية ومعناها المدينة باعتبار وحدة سياسية مستقلة لا كجماعة من السكان فحسب، فالمواطن ليس فقط ساكن المدينة وإنما هو الذي يجمع الشروط الضرورية للإسهام في إدارة الشؤون العامة ضمن إطار المدينة². وبالتالي مفهوم المواطن مرتبط بمدى قدرته على المشاركة الفعالة في تسيير شؤون المدينة. في اللغة العربية جاءت المواطنة على صيغة مفاعلة، وأصلها كلمة مشتقة من وطن

¹ - ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسية، دار مجد اللاوي للنشر مجد اللاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2004م. ص 348.

² - Dominique schnapper. Qu'est-ce que la citoyenneté ? Edition gallimard 2000p

وهو حسب لسان العرب لابن منظور : الوطن هو المنزل الذي نقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه ، والجمع منه أوطان وأوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها ومواطن مكة موافقها، وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام الأخيرة أعلى وأوطنه اتخذه وطنا، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها، والموطن مفعل منه ويسمى به المشهد من مشاهد الحرب وجمعه مواطن والموطن مشهد من مشاهد الحرب، وفي التنزيل العزيز: نصركم الله في مواطن كثيرة ، وأوطنت " الأرض ووطنها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها ،وطنا أما المواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له كقولك إذا أتيت فوقفت في ذلك المواطن فادع الله لي وإخواني وبواطنه على الأمر أضمر فعله معه، فإذا أراد معنى وافقه قال وطأه تقول واطنت فلان على هذا الأمر إذا جعلتما في أنفسكما أن تفعلان وتوطنين النفس على الشيء كالتمهيد¹.

وجاء في التعريف الاصطلاحي للوطن هو المتحد أي الحيز الجغرافي الذي نعيش وتتعايش عليه مجموعة بشرية معينة حيث يتفاعل الأفراد مع بعضهم ومع الأرض التي يقطنون عليها وذلك على مر الزمان، أي أن الوطن ليس علاقة عابرة مؤقتة وقصيرة، بل هو مجموعة من العلاقات الإنسانية والعاطفية والثقافية والمادية عموديا وأفقيا².

ويتضح من هذه التعاريف أن المواطن هو الإنسان الذي يستقر في بقعة أرض معينة وينسب إليها أي مكان الإقامة والاستقرار والولادة.

المواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه

¹ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، 1990م، ص 451.

² - نسرین عبد الحمید نبیہ، مبدأ المواطنة بین الجدل والتطبيق، مركز الاسكندرية للكتاب، دط، 2008م، ص 08.

انتماؤه إلى الوطن وأهمها واجب الخدمة العسكرية وواجب المشاركة المالية في موازنة الدولة.¹

وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى المواطنة بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة، وتؤكد دائرة المعارف البريطانية أن المواطنة تدل ضمناً على مرتبة من الحرية التلازمي مع ما يصاحبها من مسؤوليات.²

فالمواطنة بشكل بسيط وبدون تعقيد هي جملة من الحقوق والواجبات الممنوحة لأفراد المجتمع مقابل ارتباطهم بقطر محدد ، إن مفهوم المواطنة يشير إلى تلك العلاقة التلازمية بين مفهومي الحق ، والواجب، فالمواطنة تسبغ على المواطن حقوقاً سياسية واقتصادية واجتماعية وتطلب منه المشاركة الواعية في بناء الإطار الثقافي والاقتصادي والاجتماعي للدولة ، وهذا هو التعريف القانوني للمواطنة.

1 - عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط3، 1995م
2 - عمر سعد الله، معجم في القانون الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2005 م ص 441.

2. بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المواطنة:

- **الدولة:** الدولة في اللغة تعني الاستيلاء والغلبة، والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك والدولة في الحرب بين الفئتين أن تلزم هذه مرة، وهذه مرة، ودالت الأيام دارت، والله يداولها بين الناس، ودال الدهر انتقل من حال إلى حال.

والدولة في الاصطلاح: جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة.¹

وتعرف الدولة أيضا في كونها مجموعة من الأفراد يحتلون منطقة معينة بصورة دائمة ومستقلة شرعا عن أية سيطرة خارجية ولهم حكومة منظمة تأخذ على عاتقها تشريع القانون وتطبيقه على جميع الأفراد والمجموعات الداخلية ضمن حدودها القانونية وإذا ما نظرنا إلى الدولة بصورة مجردة فيمكن تسميتها بشخص أو وحدة قانونية، أما إذا نظرنا إليها بصورة فعلية فهي السكان والأرض التي يعيش عليها هؤلاء السكان.

¹ - جمنا طلبنا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت، دل، 1982، ص 568.

والمنظمة الحكومية التي يتم بواسطتها تنفيذ أعمال الدولة وإرادتها.¹
ومن خلال التعريف يتضح أن للدولة عناصر رئيسية هي:
- السكان: أي مجموعة كبيرة من الناس.

- الأرض: أي مساحة معينة من سطح الأرض التي يعيش عليها السكان
- الحكومة: فلا يمكن لعناصر الدولة أن تكتمل إلا بوجود هيئة حاكمة قادرة على
السيطرة وإدارة شؤون الدولة.

- المجتمع : إن الاجتماع الإنساني ضروري ، لأن الإنسان كما يقول أرسطو مدني بالطبع ، ولا بد له كما يقول ابن خلدون من الاستعانة بأبناء جنسه لتحصيل غذائه والدفاع عن نفسه ، فالإنسان مهما كانت له القدرة على الاكتفاء بذاته إلا وهو بحاجة إلى أقرانه والمجتمع في اللغة موضع الاجتماع ويطلق في اصطلاحنا على مجموعة من الأفراد تؤلف بينهم روابط واحدة تثبتتها الأوضاع والمؤسسات الاجتماعية ويكفلها القانون أو الرأي العام، بحيث لا يستطيع الفرد أن يخالفها أو أن ينحرف عنها إلا إذا عرض نفسه للعقاب أو السخط أو اللم كأن الأحوال الاجتماعية سلطانا على الفرد ، فلا يكاد يحدث نفسه بمخالفة ولا يختلج في ضميره انحراف إلا والناس منكرون عليه ذلك.²

إن المجتمع مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية لذا نقول المجتمع الجزائري أو المجتمع الفرنسي وغيرها

¹ - رايmond كارفيدا كينيل، العلوم السياسية، ترجمة فاضل زكي محمد مكتب النهضة، ط2، 1963، ص 26

² - حميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 345

- الحق: في المفهوم العام هو قدرة لشخص من الأشخاص على أن يقوم بعمل معين يمنحه القانون له ويحميه تحقيقا لمصلحة يقرها، إن كل حق يقابله الواجب، وفي الحقيقة هناك علاقة تضايف بين الحق والواجب فإذا كان الفعل واجبا على أحد الرجلين كان حقا للآخر. إن الفقه القانوني قد استقر على تعريف الحق بأنه سلطة شخص على شيء معين مادي أو أدبي يقرها القانون ويحميها ، فلا يمكن تصور الحق بدون قانون ، ولا يوجد الحق إلا حيث يعيش الناس في مجتمع منظم أي مجتمع يسوده القانون ، ومن الناحية الفلسفية الحق اصطلاح قانوني يعني السلطة أو القدرة التي يقرها القانون لشخص ويكون له بمقتضاها ميزة القيام بعمل معين ، وأهم ما يميز الحقوق أنها قدرة على عمل شيء والحماية القانونية التي تكفل احترام وحماية هذه القدرة في مواجهة الغير. ¹

ويختلف مفهوم الحق تبعا لطبيعة المجتمع الإنساني وكيانه ففي المجتمعات البدائية مثلا لم تكن تعرف الملكية الخاصة إذ كان الأفراد يتمتعون بالمساواة المطلقة فيما يحصلون عليه من ثمار الإنتاج.

- الواجب : كلمة سامية وعظيمة في حياة الفرد والأمة ، ويقابل الواجب الحق ، وإذا ما تعادل الحق مع الواجب تتحقق السعادة الإنسانية وهناك من يذهب إلى القول أن الحق أضيق من الواجب لأنه إذا وجب على الغني أن يتصدق على الفقير بشيء من المال فليس يحق للفقير أن يطالبه به لذلك فرقوا بين الواجبات الملزمة والواجبات الواسعة ، فالواجبات الواسعة هي التي ليس في القانون ما يوجب التقيد بها أو التي يترك للمرء حرية الاختيار في تنفيذها كالإحسان مثلا ، أما الواجبات الملزمة فهي الواجبات المقابلة للحقوق التي تستوجب التنفيذ .

إن كلمة الواجب تطلق على ما يجب فعله ويمنع تركه ، أو على ما يكون فعله أولى

1 - عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المرجع السابق، ص 553

من تركه، والوجوب ضربان وجوب عقلي ووجوب شرعي، فالوجوب العقلي ما لزم صدوره عن الفاعل بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا، والوجوب الشر والوجوب الشرعي هو ما يكون تاركه مستحقا للذم العقاب.¹

-الحرية: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار"، أي أن الحرية لازمة للوجود الإنساني، ولصيقة بالإنسان منذ ولادته، وهي ركن من أركان السعادة الإنسانية، وقد يرى البعض أن الحرية السعادة بعينها.

وإذا كان الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور schopenhawer arther (1788/1860م) يرى الحرية وهم، وأن الإنسان فريسة وهم هو وهم الحرية، فإن، أنصار الحرية قالوا بأن لا يمكن تعريفها لأنها لا يمكن أن تصبح شيئا منفصلا عن الإنسان ذاته وقد نالت هذه المفردة اهتمام الكثير من المفكرين لا سيما اليونانيين ومدارسهم الفكرية خصوصا المدرسة الأبيقورية التي رأت أن الإنسان يكون حرا حين لا يكون هناك قيودا على رغباته، ويقول أفلاطون أننا لا نعي الحرية حين نقع تحت وطأة الرغبات.²

إن الحرية مفهوم واسع وشامل ذو دلالات ومعاني مختلفة ويمكن تحديده في ثلاثة معاني:

- المعنى العام: وهو المعنى اللغوي والعادي المتعارف عليه الذي يعني انعدام القيود القمعية أو الزجرية، فالحرية هنا هي الصفة التي تعطى لبعض الأفعال البشرية التي يقوم بها الإنسان بدون ضغط أو إكراه وعن سابق قصد وتصور وتصميم. كما أنها نقيض العبودية والتبعية

¹ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982، ص 542

² - ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، المرجع السابق، ص 167.

- **المعنى السياسي والاجتماعي:** تدل كلمة حر أو حرية على غياب إكراه: اجتماعي مفروض على الفرد، وبهذا المعنى يكون المرء حرا في أن يفعل كل ما لا يمنعه القانون وحرًا في أن يرفض القيام بكل ما لا يأمره بفعله

- **المعنى النفسي والخلقي:** في مقابل اللاوعي في مقابل، النزوة، الجنون، اللامسؤولية، الحرية هي حالة الكائن الفاعل خيرا أو شرا على حد سواء الذي يجزم أمره بعد روية وهو يعلم الأمر حق العلم والفاعل الذي يعرف ما يريد ولماذا يريد والذي لا يتصرف إلا بمقتضى الأسباب التي يوافق عليها إن الحرية هي أقصى حد ممكن من الاستقلال بالنسبة إلى الإرادة التي تحزم أمرها في ظل فكرة، هنا الاستقلال بغية هدف تملك الإرادة فكرة عنه أيضا¹.

إن الحرية شيء ملازم للفرد تسمح له بأن يعيش حياته الخاصة بالشكل الذي يراه مناسباً ومن ذلك جاء في المادة الأولى من الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن "يولد الناس أحرارا ومتساوين وبيقون كذلك".

¹ - أندري لاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان ط1 1996 ص778،729.

المواطنة في الفلسفة اليونانية.

لم تكن فكرة الدولة هي ذاتها في كل العصور وبالنسبة إلى مختلف المجتمعات وقد انعكست هذه الخصوصية المحايثة لنموذج الدولة على كيفية تصور فكرة المواطنة وممارستها. ففي كل مرحلة تاريخية عكست المواطنة شكل الممارسة السياسية السائدة وطريقة تنظيم الدولة للمجتمع على كافة المستويات، فقد كانت بالنسبة لهذه الحضارات علامة بارزة على مدى شعورهم بالمواطنة والانتماء الحقيقيين

1. أثينا:

إن الفلسفة السياسية بمعناها الدقيق لم تنشأ إلا في ظل توفر الحرية السياسية في المدن اليونانية القديمة. ففي ظل هذه المدن بدأت تتضح ملامح النظم السياسية التي تعتمد على وعي أفرادها بما يصنعون وبما يحققون من أهداف سياسية يسعون إلى تحقيقها. ففي عهد الديمقراطية الأثينية في عصرها الذهبي " بركليس "

Pereictes (429-490 ق م) الذي وضع الدستور الديمقراطي بالمعنى الصحيح حيث أتاح لكل عضو من أعضاء الدولة الإشتراك في الأمور السياسية ووضع جميع أفرج الشعب على قدر المساواة أمام القانون".¹

فلقد عمل النظام الأثيني على إتاحة الفرصة أمام الجميع للمشاركة بصرف النظر عن الفقر أو الغنى وبصرف النظر عن المكانة الاجتماعية لهذا الفرد أو ذلك، فأهم شروط المواطنة إن يولد المرء لأبوين أثينيين، فصفة المواطن بالنسبة للإنسان اليوناني عموماً تحمل في طياتها قدراً من المساهمة في الشؤون العامة، فما كان مسلم به في ظل الديمقراطية الأثينية هو استخدام القرعة والانتخاب المباشر لتولي أي منصب سياسي.

¹- النشار مصطفى، الحرية والديمقراطية والمواطنة قراءة في فلسفة أرسطو السياسية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 2008، ص 37.

هو استخدام القرعة والانتخاب المباشر لتولي أي منصب سياسي.¹
 فاستخدام القرعة كان يهدف إلى إعطاء كل مواطن فرصة متكافئة دون نظر إلى الثروة أو المولد.

لقد استندت الديمقراطية الأثينية في حكمها إلى " الجمعية الشعبية leisia التي كانت تضم كل المواطنين الأحرار، والتي يختار من بينها بالقرعة مجلس البولا Poula الذي كان يتكون من خمس مئة عضو ويشرف على الإدارة، والقضاء، كما كان يختار منها أيضا المحاكم الشرعية.²

اقتصرت المواطنة في هذه المدينة على الرجال الأحرار، فأثينا المؤسسة على نظام مجتمع عبودي لا تعترف لطبقات الشعب الأكثر عددا بأية حقوق سياسية أو مدنية. لقد حرمت النساء والعبيد من حق الانضمام إلى جماعة المواطنين الأحرار.

1 - النشار مصطفى، الحرية والديمقراطية والمواطنة قراءة في فلسفة أرسطو السياسية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 2008 ص 16.

2 - المرجع نفسه، ص 37.

||. "سقراط":

أن حياة سقراط تعد سلسلة من المواقف السياسية التي كانت أغلبها ضد الديمقراطية، فلقد كان ارتباط سقراط بسياسة المدينة يجعله خاضعا كل الخضوع لنظامها وقوانينها ويجعله معارضا لكل محاولة لتحرر من هذه القوانين وهو يؤكد فردية المواطن إزاء الدولة، ونجد تأثير هذا الأخير على الفكر السياسي لكل من "أفلاطون" و "أرسطو".

تطور الحال مع سقراط" فلقد ذهب إلى القول إن الإنسان اجتماعي بطبيعته ولا يستطيع أن يعيش بمفرده وأن الدولة وجدت كنتيجة ضرورية لحاجات الإنسان الاجتماعي.¹

أي أن الإنسان بطبعه ينتمي إلى الجماعة لذلك لجأ إلى هذا التنظيم "الدولة" ليكفل حاجاته. ففي محاوره الدفاع يذكر أفلاطون" أن "سقراط" أثناء رئاسته لجمعية الشعبية عن الموافقة على محاكمة قواد حملة "الأرجينوساي" الذين تركوا الأسطول الأثيني ليغرق في اليم بآلاف البحارة لأنه عد المحاكمة غير قانونية ويتضح لنا ان موقف "سقراط" وتمسكه بحرفية القانون في موقف كان يثير شكوك المواطنين الذين إشتمو رائحة الخيانة في تصرف هؤلاء القواد كان صدمة سياسة الديمقراطية.²

فقد كانت قوة الديمقراطية الأثينية تكمن في هذا الأسطول وكانت كل المؤامرات تحاك حول القضاء على هذه القوة البحرية، فرأى سقراط أن محاكمة قواد هذه الحملة محاكمة غير قانونية، فحادثة تمسكه بألا يحاكم قواد" حملة "الأرجينوساي" دليل على احترامه الشديد للقانون وأصله الإلهي.

يقول "سقراط" في هذا الصدد إنني لأعتقد أن الآلهة هي التي وضعت القوانين للناس إذ أن أول القوانين عند كل الناس هو الذي يحض على عبادة الآلهة".³

1 - فضل الله محمد إسماعيل، فلسفة السياسية، دار الجامعة الجديدة لنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، 2008، ص 154.
2 - النشار مصطفى، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، د ط، القاهرة، 2005، ص 40، ص 41.
3 - مطر حلمي أميرة، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، القاهرة، 1977 ص 159.

فسقراط يرى أن القانون لا يتعارض مع العدالة الإلهية لأنه رمز لها والقانون عنده أساس التربية ومصدر الفضيلة وسر الثبات والنظام. فحياة "سقراط" كمواطن أثيني تتجلى في الثبات في أداء واجبه المدني، وإسراره على رفض تخطي حدود القانون المدني، فهنا تظهر صفات المواطن الصالح.

III. "أفلاطون":

يعد أفلاطون أول فلاسفة السياسة الذين نجد لهم وحدة علم ومنهج فليديه الدعائم الأولى للسياسة، ويعد المرجع بعد ذلك لكل فلاسفة الفكر السياسي، ففي جميع نظرياته مسائل متصلة بالفلسفة السياسية وتتجلى هذه الأعمال في محاورات وهي "الجمهورية" "السياسي" "القوانين" فكل محاوره تعبر عن طور معين من فكر "أفلاطون" السياسي مثل محاورات "الدفاع".

يقول "أفلاطون أن المدينة أو الدولة أنها أنشأت لسد حاجاتنا الطبيعية مثل الغذاء والكساء والسكن وغير ذلك من حاجات الجسد الضرورية¹. أي أن حاجات الفرد هي التي ولدت هذا التنظيم السياسي من أجل الحفاظ على حقوقه الطبيعية ويلغي أفلاطون في كتابه "الجمهورية" نظام الزواج "إذ يجعل أفلاطون تطبيق هذا النظام مقتصرًا على طبقتي الحكام والحراس، مستثنيا منه طبقة المنتجين ضمانًا لوحدة الدولة وتماسكها، وضرورة تأكيد ولاء الحكام والحراس لمجتمعهم ودولتهم وسلطاتها السياسية، وعدم تشتت ذلك الولاء، جراء الحرس على الأسرة أو الممتلكات الخاصة². والسبب الأساسي من تحريم الزواج لدي كل من الحكام والحراس هو انه كان ينظر إلى العاطفة العائلية كمنافس قوي لعاطفة الولاء نحو الوطن والدولة في نفوس الجند، والحكام فالعاطفة العائلية تضعف من سلطان العاطفة الوطنية.

1 - الخيري مدحت الفكر السياسي، المفاهيم والنظريات دار الراجعية، لنشر والتوزيع، ط، عمان، 2013، ص 39.

2 - فيض حسن عامر، ومراد عباس علي، مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط، دار الزهران، ط1، عمان، 2011م، ص 213.

يري "أفلاطون" أن الدولة منظمة تعليمية لذلك أقر ببرنامج تعليمي هدفه خلق المواطن الصالح والحاكم الفاضل. ففي "الجمهورية" يري ألا يتولى الفلاسفة الحكم في مدينته المثالية إلا بعد أن يقضوا فترة تدريب ليتسّن لهم تولي المناصب الإدارية في الدولة " لقد أراد أن يكون هؤلاء هم ضمان الخير للدولة وللشعب لأنهم لن يطمعوا في ثروته ولن ينشغلوا بتحقيق نزوة بل سيستهدفون دائما إسعاد مواطنيهم على أساس تحقيق مثال العدالة في الدولة¹.

فأصل السلطة السياسية ذات أصل إنساني أرادي أساسه حاجة الإنسان. ووظيفتها تحقيق السعادة للإنسان فردا و مجتمعا.

أقر "أفلاطون" في كتابه "القوانين" بشرعية ملكية كل مواطني المدينة وطبقاتها للأرض والثروة².

وذلك بتقسيم الأرض إلى قطع متساوية من أجل إلغاء التفاوت في الثروات بين المواطنين. وفي محاوره أفلاطون يقول "سقراط" "أفليت تقول القوانين إنك يا سقراط ناقص للمواثيق والعهود التي أخذتها معنا على نفسك اختيارا... نستطيع أن نغادر المدينة أو نرحل إلى أية دولة يونانية أخرى... لكنك كنت شغوبا بالدولة، أي بقوانينها... إذن من يجب دولة لا قوانين لها³

فسقراط كان ذلك المواطن الأثيني الذي يحترم القوانين الدولة لأنه لم يفر من البحث عندما طلب منه تلميذه "أقريطون" الفرار، فهو بذلك قام بواجب احترام المواطن لدولته وطاعته قوانينها.

IV. أرسطو:

ينطلق أرسطو من مبدأ أساسي في فلسفته السياسية هو أن الإنسان كائن اجتماعي

1 - النشار مصطفى، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1998م، ص 98

2 - فياض حسن عامر، مرجع سابق، ص 227

3 - المرجع نفسه، ص 227

بطبعه يتوق للعيش في الجماعة مع بني جنسه. ولما كان العيش ضمن الجماعة ضرورة تقتضيها الطبيعة البشرية لجأ هذا الإنسان إلى القانون الطبيعي وإلى التنظيم السياسي الذي جعله أرسطو "ضرورة لكل اجتماع وذلك لجعل الفرد مواطناً خيراً".

إن كل دولة مجتمع، وكل مجتمع يتألف ابتغاء مصلحة إن الجميع... في كل شيء إلى ما يبدو لهم خيراً من الواضح أن كل المجتمعات ترمي إلى الخير، وأن أخطرها شأنها والحاوي كل ما دونه يسعى إلى أفضل الخيرات وهذا المجتمع هو المسمى دولة أو مجتمعاً مدنياً¹

كما أن كل دولة هي في الأصل مجتمع نري كل المجتمعات ترمي إلى الخير الاسمي. وأفضلها هي التي تسعى إلى أفضل الخيرات والمجتمع المدني أو الدولة هو الوحيد الذي يجسد فكرة الخير المشترك بين جميع أفرادها ولما كانت الدولة بالطبقة مقدمة على الأسرة ومقدمة على الفرد لأن من الضروري أن يتقدم الكل على الجزء².

فإن وجود المواطن هو لضرورة واحدة وهي خير الدولة، وقد وردت المواطنة في مؤلفه السياسات أن: "المواطن" ليس مواطناً بمجرد سكناه في البلاد لان النزلاء والأقرباء يشاطرونه تلك السكنى³.

فالمواطنة حسب أرسطو لا تقوم على مجرد توفر شرط السكن إلا إذا كان النزلاء ذوي الإقامة المؤقتة مواطنين بهذا المعنى لذلك يقول "أرسطو لا يمكن أن يكون المرء مواطناً حقيقياً إلا بما يمكنه أن يدخل بمنصب في السلطة⁴.

لأن المشاركة في السلطة هي معيار المواطنة وهي المقياس الحقيقي لانتماء الفرد لدولته ولمجتمعه المدني. وشبه أرسطو المواطن في الدولة كالملاح على السفينة فأعضاء الدولة يشبهون الملاحين تماماً، فعلى الرغم من اختلاف وظائفهم فإن سلامة الجماعة هي عملهم المشترك⁵.

1- النقاطي حاتم، مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، سورية، 1995، ص 22.

2- أرسطو، السياسات تر: أوغسطين بريارة البوليسي، اللجنة الدولية للترجمة الروائع الإنسانية، د ط، بيروت، 1957 ص 05.

3- المصدر نفسه، ص 115.

4- مصطفى النشار الحرية والديمقراطية والمواطنة، مرجع سابق، ص 29.

5- المرجع نفسه، ص 27

يقصد أن المجتمع المدني هو مجتمع لأناس متساوين أحرار يتمتعون بالفضائل كلها وعلى رأسها فضيلة المواطنة التي تحميهم أمام القانون سواء وإن تفاوتت فضيلتهم يتفاوت ويتميز أدوارهم في المشاركة السياسية.

إن أرسطو يرى تساوي المواطنين الأحرار في الفضيلة سواء منهم من أمر أو من يطع باستثناء الحكام الذين ينبغي أن يتمتعوا بإضافة إلى تلك الفضيلة العامة "للمواطنة" بفضيلة الحكمة والتبصر. والفضيلة الخاصة بالرعية هي الثقة بالرئيس¹

لأن حكمة الرئيس وعدالته بين مواطنيه تجعله مميزا ويحقق بذلك أوسع قدر ممكن من السعادة. ولقد طالب "أرسطو" بالنظام التربوي في المدينة الفاضلة قائم على المساواة بين جميع المواطنين²

أي ألا يكون هنالك فرق بين من يتولون الحكم والرعايا، فالتربية في الدولة متماثلة لجميع أعضائها، وبذلك نستنتج تربية الجنس البشري. كذلك يقرر أرسطو أنه يمكن أن يطلق لفظ مواطن على كل من يتمتعون بوظائف الإدارة العامة³.

يقصد الشعب وصوته الفاعل، مادام أنه عضو في الدولة له حقوق وعليه واجبات اتجاه مدينته أو دولته ويؤكد أرسطو على ضرورة العيش في كنف المدينة. فيقول "بأن الإنسان بطبيعته هو حيوان سياسي⁴

بما أن الإنسان الفرد لا يستطيع أن يكفي ذاته، وكذلك كل فرد في المجتمع الذي يعيش فيه، فمن واجب الجميع بمعنوا في وثيقة واحدة ليؤمنوا ضروريات الحياة. فالعيش في مجتمع هو نزعة طبيعية عند البشر وهي ضرورية لبقاء النوع وردع صعاب الحياة. أما الذي يقطع صلته مع القانون فإنه يصبح أسوأ الناس ظلما. ومن لديه كمفهوم الخير والشر والعدل و اللاعدل فاستطاعته تكوين مدينة فاضلة "إن فضيلة المواطن والحاكم والرجل الفاضل جدا،

¹- مصطفى النشار الحرية والديمقراطية والمواطنة، مرجع سابق ، ص 28.

²- المرجع نفسه، ص 58.

³- المرجع نفسه، ص 26

⁴- النفاطي حاتم، مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار، د ط، د ب، 1995، ص 87.

هي فضيلة واحدة وأن نفس الشخص يجب أن يكون أولاً مرؤوساً ثم رئيساً، قد يترتب على المشروع أن يعني بمجمل المواطنين على الفضيلة"¹.

الصفات الطبيعية التي يترتب على المواطنين أن يتحول بها جميعاً هي الفضيلة لكي يصبحوا أفاضل بالتخلق والتعلق لكي تصبح الدولة فاضلة تكون المواطنين المشتركين في السياسة أفاضل.

¹ - غوش ريمون الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقى للطباعة والنشر، دط، بيروت، 2008م، ص 143، ص 143، ص 144.

المواطنة في فلسفة العصور الوسطى

لا شك أن ظهور الديانات المسيحية أثر على مجري الأحداث السياسية في ربوع الإمبراطورية في الشرق والغرب. ففي هذا العصر تمثل رمزي آخر للمواطنة، تبلورت في ظل نظام إقطاعي أحل قيم المسيحية محل القيم المدنية. وبنينا نظام سياسيا ترك فيه المواطن موقعه للرعية.

1. المواطنة والفكر السياسي في الفلسفة المسيحية:

1- القديس أوغسطين:

يعد القديس أوغسطين البداية الحقيقية للفكر الفلسفي المسيحي رغم أن فكره قد أصطبغ بصبغة دينية واضحة تغلبت علي منطق العقل في الكثير من الأحيان، في حين أصبحت علاقة الدين والدولة مشكلة من الضروري حلها، وقد كان للقديس أوغسطين إسهامه الواضح في هذا المجال من خلال كتابه الشهير "مدينة" "الله" يقول أوغسطين " إن حب الذات احتقار الله صنع المدينة الأرضية وحب الله لحد الاحتقار الذات صنع المدينة ، السماوية إن المدينة الأولى تتمجد في ذاتها، أما الثانية فتتمجد في الرب الأولي تبحث عن مجد آت من البشر أما الثانية فإن الله الشاهد علي الضمير هو مجدها الأكبر"¹

يميز هنا أوغسطين بين صنفين من البشر يقطنون نوعين من المدن، فالصنف الأول هم أولئك الذين يغلب عليهم حب الذات يمارسون الشهوات ويجرون وراء أهوائهم ويتبعون سبل الشيطان، وهؤلاء يطلق عليهم ميسميه "المدينة الأرضية" أما الصنف الثاني فهؤلاء يغلب عليهم حب الله لدرجة أنهم يمهلون أنفسهم ويزهدون في دنياهم وهم مواطنو المدينة..

¹- لنشار مصطفى، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، 2005، ص 128.

... السماوية فلق أطلق علي الدولة المدينة الأرضية كان يقصد بذلك الدولة الواقعية التي نعيش فيها، أما الكنيسة فليست المنافس للدولة، بل هي المجتمع وعاداته الروحية المتصلة بالله، لأنها مبدأ جديد للمجتمع الإنساني¹.

فهنا يفرق بين المدينتين فالمدينة الأرضية هي المجتمع الإنساني الذي تسيطر عليه قوى الشر أما الكنيسة هي مدينة الله المرتبطة بالخير والتي من شئنها أن تحقق العدالة الإنسانية، وفي هذا المقام يقول " اغسطين " : " جوهر العدالة يكمن في العلاقة بين المرء والرب وتنبثق عنها بالتأكيد علاقات السلمية بين الإنسان والإنسان².

فالعادة داخل الفرد بين قوتي الخير والشر لن تتحقق بتلبية مطالب النفس الشهوانية، بل ستتحقق في حالة صلة الطيبة بين الإنسان والله فالعدالة أساسها العودة إلى الله والالتزام بكل جوانب العقيدة الدينية.

فأوسطين لا يري الدولة إلا " فيما أسماه مدينة الله، والتناقض الذي يقع فيه هنا هو أن هذه المدينة كما حدثنا عن صورتها لا يمكن أن تكون موجودة على الأرض فأهل هذه المدينة وإن عاشوا على الأرض في حياة مشتركة مع مواطني المدينة الأرضية إلا أنهم يعيشون فيها كالغرباء، الذين ينتظرون بفارغ الصبر العودة إلى أرضهم وأصلهم في تلك المدينة السماوية "مدينة" الله " وهي بالقطع لن تكون إلا في العالم الآخر³.

هذا يعني أن مواطني المدينة السماوية يعيشون مع الآخرين ولكن ليس كالأخرين فإذا أنجزوا نفس الأعمال فإنهم ينجزونها بروح مختلفة فالبرغم التنافر أو التناقض بينهما، فإن الشعبين يتساكنان في نفس المدينة الأرضية، فالخبرات التي توجد في المدينة الأرضية ليست سوى غاية في نظر شعب المدينة السماوية ليعدوا بها إلى مدينتهم وأرضهم عكس شعب المدينة الأرضية فهم يتمتعون بها ويسعدون ففي رسم أوغسطين الصورة مدينة الله

1 - فياض حسن عامر وعلي عباس، مراد مرجع سابق، ص 379.

2 - النشار مصطفي، تطور الفلسفة السياسية من صولون إلى ابن خلدون مرجع سابق، ص 129.

3 - المرجع نفسه، ص 129 ص 130

"يعيد تكييف النظرية القديمة التي تقول بولاء" الإنسان لمدينتين أولاً هي المدينة التي يولد فيها، والثانية مدينة الله¹.

فهو يقدم توضيحاً لعلاقة الإنسان بالمدينتين وطبيعة الولاء لهما وذلك من خلال "طبيعة الإنسان الحركية بوصفه روحاً، وجسداً².

"فهو يقصد أن المدينتين مرتبطتان ولا تنفصلان إلا يوم الحساب".

وينتقل إلى تأكيد إن الدولة "لا تنشأ عن عقد إرادي مجرد ولا عن خطيئة الإنسانية الأولى.

بل أن منشأها الطبيعة الإنسانية والغرائز الكامنة فيها³

أي أن هذه الغرائز هي التي تجعل من الدولة ضرورية ولازمة للحياة الاجتماعية فحالة

الطبيعة هي التي أوجدت هذه الأخيرة. ويرى أيضاً أن الدولة الحقّة هي التي تقوم عقائدها

على تعاليم المسيح وتحافظ على هذه العقائد والتعاليم⁴.

"فالدولة هي التي تحقق الخلاص المجتمع القائم على طهر العقيدة ونقاها فالكنيسة تشرف

على الدولة من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق

أغراضها.

إن الفضيلة الأسيرة للمجد البشري ليست فضيلة حقيقية وفي هؤلاء الناس الذين لا ترتبطون

بالمدينة الأبدية التي يسميها الكتاب المقدس مدينة الله يفضل لمدينته الأرض الخطأ في

الفضيلة على غيابها الكلي. أما من لم تكن تقواهم راسخة، وليست غريبة عن علم إرادة

الشعوب، فلا شيء أسعد بالإنسانية من أن تضع رحمة الله بين أيديهم سلطة. إن الفضيلة

التي يتحدث عنها أوغسطين ليست فضيلة حقيقية مادامت مرتبطة بمدينة الأرض لأنها

معرضة للخطأ، فإنسانية البشر تبقى تحت رحمة الله.

¹- فياض حسن عامر، ومراد علي مرجع سابق، ص.379.

²- المرجع نفسه، ص 379-3 سبابين جورج، تطور الفكر السياسي، تر حسن جلال عروسي الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، دت، ص 91.

³- المرجع نفسه، ص 91

⁴- القديس أوغسطين، "مدينة الله، تر: الخور أسقف يوحنا الطلو، ج 1، دار المشرق، ط2، بيروت، 2006، ص 260.

"فلا يجوز مثلاً لمواطن، ولا غريب، أن يخالف تقاليد بلد أو قوانين المدينة ولا يحق للعضو أن يخالف المجموع الذي إنثيق منه إلا نبذه المجموع"¹
يلزمها تجنب المخافة للتقاليد البشرية مع مراعاة القوانين والإصلاحات التي تسير عليها مدينتهم ولا يحق للجزء أن يخالف الكل، لأن أساس النظام البشري الاجتماعي مرتكز على طاعة الملوك.

2- القديس توما الإكويني:

لقد جرت تطورات فكرية وسياسية عديدة بين القرنين الرابع والثالث عشر الميلاديين، فعلي الصعيد الديني المسيحي جرت تطورات بطيء كان أبرزها ذلك الصراع الذي أنشب بين السلطتين الدينية والزمنية، سلطة الكنيسة وسلطة الدولة وهو صراع أشتهر في تاريخ الفكر الغربي الوسيط حيث بدأت الأعمال الفلسفية تتوجه نحو نظام فكري موحد يتم تحقيق فيه الانسجام بين الإيمان والعقل وبين اللاهوت والفلسفة. وكان توما الإكويني من الأوائل الذين حملوا لواء تحقيق هذا التآلف في الغرب

ترتبط "فكرة أصل السلطة والدولة، عند الإكويني بالطبيعة الإنسانية للإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً بالطبع ... والسلطة والدولة في هذه الحالة حدث ونتاج طبيعي، مصدره الطبيعة الاجتماعية للإنسان"²

فهذه السلطة الشكل التنظيمي الذي أنتجه الناس واستخدموه لإدارة شؤونهم، وتحقيق الخير العام لهم إن معرفة الله عند الإكويني هي "شرط لإنتماءه للكنيسة، مثلما هي شرط لإنتماءه للمجتمع السياسي للدولة"³

لأن الممارسة السياسية سلوك عقلي يتحكم فيه النظام العام للكون والحياة.

¹ - القديس أوغسطين، اعترافات"، دار المشرق، ط4، بيروت، 1991، ص51

² - المصدر نفسه، ص 400

³ - المصدر نفسه، ص 405

ويتفق توما الإكويني مع أرسطو في أن المجتمع عبارة عن تبادل خدمات ومنافع بغية الوصول إلى هدف محدد وهو الحياة الطيبة السعيدة للجميع وكل إنسان إنما هو صاحب مهنة أو حرفة، وكل منهم يمد غيره ببعض، حاجاته فالزارع والصانع يمدان المجتمع بالحاجات المادية، والقسيس يسهم بإقامة الصلوات والشعائر.¹

هذا يعني أن كل كائن يكافح ويسعى إلى الوصول إلى الخير الأسمى وذلك باعتماده على دافع طبيعي مستمد من طبيعته ويقول في هذا الصدد "إنه إذا كانت طبيعة الإنسان، الحيوان الاجتماعي والسياسي تريد أن تعيش في مجتمع يضم عددا كبيرا من أشباهه فإنه من الضروري أن يكون لدى البشر مبدأ بواسطته يحكم الجمهور (...)", إن هذا الجمهور سيتبعثر في مختلف الاتجاهات إن لم يجد من يعتني بخيره، مثلما يتحلل جسم الإنسان أو أي حيوان كان إن لم توجد فيه قوة موجهة مشتركة تستهدف الخير المشترك لكل الأعضاء.² يؤكد الإكويني على وجوب تكوين سلطة حاكمة واعتبر ذلك بمثابة حق يتولد من الطبيعة البشرية فبرغم من أن الشعب هو صاحب القرار واختيار في تعيين الحاكم والسلطة الحاكمة إلا أن هذا الحق هو حق إلهي وإن اكتسبه الحاكم بواسطة الشعب الذي اختاره، فالغاية الأساسية من تحقيق الوحدة والسلام. ويؤكد على الحكم: إن جزءا واحدا في الجسد هو القلب يحرك كل الأجزاء الأخرى وأن حالات ليس لها إلا ملكة واحدة، وفي كل الكون ليوحد إلا إله واحد هو خالق وحاكم كل الأشياء"³.

فهو بهذا يؤكد على حكم ويقلل منة كم الكثرة، فالحاكم يسهم في الخير العام للمجتمع، وسلطته يستمدتها من الله بقصد تحقيق الحياة السعيدة للجميع في المجتمع. ويؤكد على ذلك في قوله: أن السلطة العليا في المجتمع إنما تصدر عن الله، وأن الله يوكلها إلى أفراد الشعب، ومن ثمة تأتي السلطة السياسية بعد السلطة الدينية،

1 - النشار مصطفي، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون مرجع سابق، ص 134، ص 135

2 - المرجع نفسه، ص 135

3 - المرجع نفسه، ص 138

والحكومة في نظره قد تكون سالحة أو فاسدة، عادلة أو ظالمة، والحكومة السالحة حكامها هي التي يتوخى حكمها السالح العام، وتصبح فاسدة إذا توخا الحكام مصلحتهم الخاصة، والأولي هي حكومة الأفراد، والثانية هي حكومة العبيد والأرقاء¹.

فالسطة العليا هي التي توجه المجتمع نحو السالح العام، والحاكم هنا ليمثل رغبته بل رغبة المجموع الذي يتحقق بتنظيم سياسي يقوم بين الحاكم والمحكومين من أجل تحقيق الأهداف الاجتماعية، وإذا ما خدم الحاكم مصلحته الخاصة فإن هذا الكيان سينهار وينحل ويظهر التفاوت الطبقي في هذا المجتمع السياسي. وأيضاً الخير قدر من والأرقاء، الشر فخطيئة الإنسان لأول أوجبت الخطأ في نسله فإذا لو أقام الإنسان الأول على البر لأوجب ذلك في خلفه حفظ البر وأيضاً الملاك الذي بقي مع الله حينما أثم الآخرون ثبت حالاً في البر حتى عصم بعد ذلك صم بعد ذلك عن الخطأ (...)، إن معني قواه أن آدم لم يكن يلد من نفسه أبناء جهنم لو لم يخطأ ان أبناءه لم يكونوا يتلقون منه الخطيئة التي خطيئة التي هي سبب "جهنم"².

إن الله تعالى عندما خلق آدم وحواء أجبرهما على طاعته بفعل إخباري، وعدم الاقتراب من الشجرة، لكن آدم أخطأ واقترب منها وأصبحت الخطيئة على الدوام مع نسله وتوارثت الأمة عدم الطاعة في الدنيا والآخرة فبرزت من العام إلى الخاص، وهذا ما برز في الكيان السياسي بين الحاكم والمحكوم.

¹ - رشوان أحمد حسين عبد الحميد الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط 4، الإسكندرية،

2011، ص 63

² - القديس توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج 2، تر: الخوري بوليس عواد المطبعة الأدبية، د ط، بيروت، 1896، ص 572، ص 573

1. الفكر السياسي عند المسلمين

ان الفلسفة الإسلامية في الحكم هي الأساس الذي يجب أن يقوم على الحكم في الدولة المؤمنة في الإسلام ديننا وبالشرعية منهاجاً للحكم، لأن هذا النظام هو الأصح لواقعنا وظروفنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فهذا النظام يحاول الوصول إلى أعتاب التقدم ومحققاً مطالب أفراده الأساسية وصولاً إلى الرخاء المنشود لهؤلاء الأفراد. فلقد كان لهذا الأخير تأثيراً على الحضارة الغربية، فجعل من العدل غاية لقيام سلطة الدولة. أي أن أساس هذا العدل هي التسوية في المعاملة والمقصود بها المساواة بين الرعايا في الحقوق والواجبات.

1- أبو نصر الفارابي:

الفارابي أول فيلسوف يحاول إقامة التوافق أو الانسجام بين الفلسفة السياسية الكلاسيكية القديمة وبين الإسلام، فالفارابي " أعاد ذكرى فلسفة "أفلاطون" و "أرسطو" السياسية فمنزلة الفارابي تعادل منزلة أفلاطون عند اليونان إذ قدم أهم محاولة للتوفيق بين الفلسفة وبين ما ينبغي أن تكون عليه الحياة السياسية والدينية لكي تتحقق السعادة والحياة الصالحة الكاملة للبشر.

يقول "الفارابي" "كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء ما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال." يعني أن الإنسان مدني بطبعه يحتاج إلى أشياء كثيرة مادية ومعنوية وليس في وسعه أن يستقل في أدائها. وينفرد في القيام بها، بل يحتاج إلى عمل كل فرد في مجتمعه ليحقق سعادته ومن هنا يأتي قوله إن أفراد المدينة وإن كانوا طبيعيين لأنهم من خلق الله، إلا أن

القوى التي تهيئهم لأداء وظائفهم قوى إرادية مكتسبة وليست فطرية¹.
فالبشر يتميزون باختلاف أدوارهم في مدينتهم تجعلهم متفضلين في أدائهم لأعمالهم. غير أن الواحد منهم لا يكون عضوا في المدينة بتلك الأمور الفطرية، وحدها، بل ما يكتسبه من أمور إرادية كالصناعات والحرف. فالقوى الطبيعية الفطرية المودعة في أجزاء البدن يقابلها أجزاء المدينة وهيئات مكتسبة إرادية فالمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح، الذي تتعاون أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب، وأعضاؤها تقرب مراتبها من ذلك الرئيس، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله، ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء أخرى فيها قوى تفعل أفعالها على . حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة².

فالفارابي يبدا هنا متابعا لأفلاطون في بناء المجتمع الفاضل بحسب نظام الفرد في الدولة. لكنه يستمد تصميمه كما رأينا من انتظام الجسم العضوي، في حين يستمد أفلاطون من قوى النفس، فتركيبية الجسم والتعاون الوظيفي لأعضاء جسده تشبه تركيبية المجتمع المدني (الدولة في تعاون واجتماع أفرادها كما أن العضو الرئيس في البدن هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر أفضله ودونه أيضا أعضاء أخرى رئيسة لما، دونه، ورياستها دون رئاسة الأول، وهي تحت رئاسة الأول كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيها يخصه ودونه قوم مرؤوسون منه ويرئسون آخرين³.

فهنا الفارابي يبين التدرج الوظيفي في المدينة كما هو الحال في المراتب أعضاء البدن، فالعضو الرئيس هو القلب في البدن وهو يفوق كمالا باقي الأعضاء وهو الذي يرأس بقية الأعضاء. فكذا في المدينة الفاضلة فهناك أفراد يتصلون بالرئيس ويتلقون منه الأوامر بدونه واسطة ويرأسون آخرين في مرتبة ثانية.

1- النشار مصطفى، فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سابق، ص 153

2- الغرابي أبو نصر المدينة الفاضلة ومختارات من كتاب الملة، مرجع سابق، ص 111

3- المرجع نفسه، ص 113

2- ابن خلدون:

يعتبر ابن خلدون بحق قمة من القمم في الفكر السياسي الإسلامي يمكن أن نطلق عليه أرسطو العرب فلقد حاول إدخال مبدأ العلمية الطبيعية في دراسة الظواهر التاريخية والسياسية والاجتماعية ومن خلال هذا المرء حاول استخلاص القوانين الطبيعية التي تحكم قيام الدولة وزوالها، وحاول وضع الدولة في إطارها العمراني أو الحضاري.

يقول ابن خلدون " إن الاجتماع الإنساني ضروري فالإنسان مدني بالطبع فالبشر لا تكون حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم. وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذ من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض (...)، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة¹.

إن حاجة الإنسان إلى الاجتماع ضرورة ماسة ليحفظ بقاءه ووحدتها السلطة الرادعة والقاهرة كحيلة لإخراج الإنسان من عدوانيته، فالحاكم في الدولة هو الذي يمثل السيد القاهر لهذه الجماعة البشرية باعتباره يمثل الغلبة والسلطان على الجميع. فالحياة الاجتماعية وجدت خطراً آخر من الإنسان نفسه وهو يصدر عما تنطوي عليه فطرته من ميل إلى العدوان على أخيه الإنسان، من حيث هو إنسان إلى أن يخترع الدولة ليكبح بها جماع عدوانه من حيث هو حيوان².

فالدولة دون سائر النظم الأخرى تتميز بالقهر والتغلب والإكراه وهي بذلك تحقق السيادة بوجهها الداخلي والخارجي³.

¹- النشار مصطفى، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون مرجع سابق، ص 193، ص 194

²- رشوان أحمد عبد الحميد حسين الفلسفة الاجتماعية، الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي

³- الحديث، ط 1، د ب 2011م، ص 72

في النظام الحكم للدولة يعرض "ابن خلدون" أنواعا مختلفة من الحكومات أهمها: الحكومة الطبيعية وهي التي يتولاها الرئيس واحد والحكومة الدينية وهي التي تستند إلى القوانين الإلهية وهي بنظر ابن خلدون أفضل أنواع الحكومات¹.

الحق الطبيعي أن تختلف مناصب الحكم من حيث صلاحيتها وتسلسلها فكل نظام من أنظمة الحكم بحيث تنسجم مع محتواه ومقوماته، والدولة لها الحرية في اختيار النظام الذي يناسب كيانها ووجودها السياسي.

¹ - سعد فاروق تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعد الأمير، منشورات دار الأفاق الجديدة، د ط، بيروت، 1999م، ص 241

الفصل الثاني
الإرث الفلسفي لفكرة
المواطنة في العصر
الحديث

المواطنة عند توماس هوبز

لقد عني فلاسفة العقد الاجتماعي بفكرة المواطنة من خلال إدراجها ضمن الحقوق السياسية للإنسان، وبسبب الأزمات والثورات السياسية والاجتماعية المستمرة في أوروبا، ظهرت إشكالية المواطنة لغرض إعادة إنسانية الإنسان التي احتضنتها النظريات القائمة على القانون الطبيعي، فجاءت فكرة العقد الاجتماعي لتعزز العلاقات الإنسانية وتضمن الحقوق والحريات السياسية وذلك بالانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة المدنية.

في حين أن معظم أفكار فلاسفة عصر الأنوار أمثال " مونتسكيو " قد أحدثت قطيعة جذرية مع التصورات الإغريقية والوسطية للمواطنة من خلال تجاوزتها لنقص الذي اعترى فكرة المواطنة بسبب اقتصرها على الحقوق السياسية دون الحقوق المدنية، ولا اختلاف بين الإنسان والمواطن، باعتبارهما من طبيعة بشرية واحدة.

الفكر السياسي هنا أراد فهم العلاقة بين الدولة باعتبارها كيان سياسي بين المواطنين داخل هذا الكيان، وذلك بموجب تعهد واتفاق وعليه: كيف كانت نظرة فلاسفة العقد الاجتماعي للعلاقة بين الحاكم (الدولة) والمحكوم (المواطن) لإرساء فكرة المواطنة؟

كان " هوبز " نصيرا للسلطة الملكية، واستخدم نظرية العقد الاجتماعي لتأييد الحكم الملكي المطلق، الذي اعتبره أسمى نظم الحكم وأكثرها كمالا واستقرارا، وان كان اهتمامه الأكبر بالحكم الملكي، وقد انتهج هذا الخط في كافة كتاباته، فلقد أكد أن علم الدولة لم يبدأ قبل كتابه " كذلك الأمر الذي جعله يتخذ "التنين" رمزا للدولة والسلطة السياسية الضخمة "Derive" في مواجهة الرعايا.

الحالة الطبيعية والحرب الكل ضد الكل

يقول " توماس هوبز " : "لقد كانت العلاقات في الحالة الطبيعية بين كل إنسان وكل إنسان
أخر قائمة على أساس من المنافسة أو الريبة اوجب المجد

1

من هنا ينتج حالة صراع من اجل البقاء، والمحافظة على الذات.
يقول " هوبز " كذلك : من الواضح أن الناس في ذلك الوقت يعيشون بدون سلطة بدون
سلطة عامة تكون قادرة على الفصل بينهم، وتجعل كل واحد بعيدا عن الآخر، في تلك
الحالة كان الناس في حالة حرب وكان الظرف الذي يعيشون فيه يطلق عليه حالة الحرب،
مثل هذه الحرب يكون فيها كل واحد ضد الآخر والحرب ليست فقط أعمال الحرب
والمعارك بل هي كانت أيضا في صراع مع الطبيعة² .

لأن الإنسان في تلك الوقت كان دائم المنافسة في سبيل تحقيق الرغبات ويرى " هوبز " أن
الطبيعة البشرية تتميز بالوحشية تجعل الفرد مع الفرد الآخر في حالة حرب دائمة ومستمرة
لذلك يقول " هي حرب الجميع ضد الجميع في هذه الحالة يتمتع بالتعاون ويمكن قيام أية
صناعة أو تجارة أو علم أو فن لأن الخوف الدائم وعدم الثقة وخطر الموت يعاقبه مجتمع أو
أية حضارة³ .

بمعنى حرب كل فرد بحيث في هذه الحالة يصبح الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وهذا ما
يؤدي إلى عدم بناء مجتمع حضاري متكامل مما يجعل حياة الإنسان ضعيفة ويشير بها إلى
الفساد وعدم الاستقرار والأمن ويؤدي إلى عدم وجود فكرة الحق والأصح والخطأ.
في ظرف كهذا أن تكون ثمة صناعة لأن ثمارها غير مؤكدة، ولأن حراثة الأرض ولا
ملاحة البحر، ولا فائدة موجودة من استيراد البضائع عبر البحار ولا عملية بناء واسعة
والوسائل

1 - توماس هوبز، الليفيتان الأصول الطبيعية والسياسية للسلطة الدولة، تر: ديانا حرب بشري صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،

2011م، ص 133

2 - المصدر نفسه، ص 134

3 - أميرة حلمي مطر، فلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، القاهرة، 1999، ص

لنقل أو لرفع تلك الأشياء التي تحتاج إلى القوة، ولا معرفة لنا بوجه البسيطة ولا تقدير للزمن، والفنون ولا آداب ولا مجتمع، لن يكون هناك سوى الأسوأ خوف دائم وتحسب من خطر الموت العنيف، وحياة يقضيها الإنسان معتزلاً وبائساً¹.

لقد كان الإنسان مدفوعاً برغباته وشهواته ولم يكن ثمة ملكية محددة تخص فرداً واحداً إن كل إنسان كان يحصل على ما يستطيع أن يحصل عليه من ممتلكات، تظل هذه الأخيرة له طالما استطاع أن يحتفظ بها. يقول "هوبز كان الإنسان الأول حينما يقوم بمرحلة تسليح نفسه ويطلب حسن المصاحبة، وحينما يذهب إلى النوم يصد الأبواب، وحينما يكون في بيته يغلق صندوق ثيابه².

وهذا دليل على معرفته أن هناك قانون، وموظفين لينتقموا لأي أذى يلحق به. ويقول هوبز في تعريفه الحق الطبيعي إن الحق الطبيعي يتمثل في الحرية التي يمتلكها كل إنسان في استعماله لقوته الخاصة كما يريد، وذلك من أجل المحافظة على الطبيعة³. هذا يعني إن الحق هو الوسيلة التي تكفل المحافظة على حياة الفرد. ويقول أيضاً لدى الإنسان إمكانية للخروج من هذه الحالة وهي تكمن في جزء منها في أهوائه وهي الجزء الأخير في عقله، أن الأهواء التي تجعل الإنسان يصل السلام هي الخوف من الموت، والرغبة في الأشياء الضرورية كحياة مريحة، والأمل بأن يجعل عليها بعمله بطرح العقل⁴.

يعني أن هناك دوافع مهدت إلى للإنسان البدائي الانتقال من حالة الطبيعة المجتمع مدني تتمثل في عاملين أساسيين العاطفة المتمثلة في الخوف والقلق والرغبة أما الثاني قواعد العقل وفي رأي هوبز هذه القواعد ماهية سوى قوانين الطبيعة ويقول هوبز في هذا الصدد: "إن قانون الطبيعة هو مبدأ وقاعدة عامة يجدها العقل وبها يمنع الإنسان من فعل ما هو

1 - توماس هوبز، الليفيتان الأصول الطبيعية والسياسية للسلطة الدولة، تر: ديانا حرب بشري صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011م ص 134، ص 135

2 - فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، دار الجامعة الجديدة، د ط، الإسكندرية 2008، ص 14

3 - توماس هوبز، الليفيتان، مصدر سابق، ص 138

4 - المصدر نفسه، ص 137

يدمر كيانه أو ما يقضي على وسائل الحفاظ عليها ومن هنا يختلف الحق عن القانون فمن حيث أن الحق يعتمد على الحرية المرء في أن يفعل الفعل أو أن يمتنع عن فعله، في حين أن القانون هو الذي يرتبط بواحد منهما دون الآخر¹

الإرث الفلسفي لفكرة المواطنة في العصر الحديث إن القانون والحق يختلفان اختلافا كبيرا مثلما يختلف الالتزام عن الحرية من حيث انهما يتناقضان في الموضوع الواحد. هذا لأنه من ناحية ما حيث يتجه الإنسان بواسطة الحق الطبيعي إلى إرضاء رغباته ونزواته أيا كانت فإنه يكون مضطرا بواسطة القانون الطبيعي أن ينجز بعض رغباته من أجل تحقيق أمنه وسعادته².

وذلك أن الحقوق الطبيعية المتساوية بين الأفراد لا بد وأن تنتهي بحالة حرب، اما القانون الطبيعي فهو نسق من المبادئ العقلية يجعل حياة الإنسان أمنة ومطمئنة. ومن هذا القانون الأساسي الذي يقتضي نشدان السلام يشتق القانون الثاني: حيث ينبغي على كل إنسان أن يرضى عندما يرضى الآخرين كذلك بالتنازل عن حقه في وضع يده على جميع الأشياء، كل ما كان ذلك ضروريا للحصول على الأمن والدفاع عن النفس وان يقتنع بحريته اتجاه الآخرين بنفي القدر الذي يسمح به الآخرين اتجاه نفس³ بمعنى أن قيام المجتمع المدني مبني على الحقوق الطبيعية التي توضح أن السلام والتعاون بين الأشخاص بدافع المنفعة الخاصة، لأن إن أصر كل واحد على استخدام حقه في فعل ما يريد فهذا معناه أن الناس سيعودون إلى الحالة الفوضى من جديد.

1 - - توماس هوبز، الليفيتان الأصول الطبيعية والسياسية للسلطة الدولة، تر: ديانا حرب بشري صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011م، ص 139

2- فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 15

3 - توماس هوبز، الليفيتان، مصدر سابق، ص 140

لذلك حدد "هوبز" طبيعة العدالة في قوله تكون طبيعة العدالة قائمة على الحفاظ على عهود السارية، غير أن كون العهود السارية لا تبدأ إلا مع تأسيس سلطة مدنية كافية لإجبار الناس على حفظها¹.

وهذا يعني أن السلطة العليا التي تشرف على تنفيذ العهود والمواثيق التي اتفق الناس عليها، ففي هذا يمكن مصدر العدل والظلم، في نظر هوبز "سوى عدم انجاز العهد.

1. العقد الاجتماعي وتشكيل الكائن الصناعي:

إن فن الإنسان يستطيع أن يصنع حيوانا صناعيا بل أن الفن يستطيع أن يذهب الى أبعد من ذلك، فيقلد الإنسان ذاته بأن هذا الكائن الخيالي الهائل Leviatnan الذي نسميه الدولة والذي هو من خلق الفن لا يعدو أن يكون إنسانا صناعيا، وإن كان أعظم حجما وأشد بأسا من الإنسان الطبيعي، لقد صورته الإنسان وأبتدعه ليحميه ويؤمنه².

فالجميع في نظر هوبز كيان مصطنع أوجده الأفراد تحقيقا لمنفعة تفوق نفع العيش الفطري الطبيعي وذلك على أساس أن في المجتمع يتم تبادل الخدمات والأفراد، ومن هنا كان منطلق تفكيره الفردي.

يقول هوبز "الوسطية الوحيدة لإنشاء هذه السلطة المشتركة القادرة على الدفاع عن الشر في وجه احتياجات الغرباء والإساءات المرتكبة بحق بعضهم وحمايتهم حتى يتمكنوا من الاكتفاء والشعور بالرضا بواسطة صناعتهم الخاصة وثمار الأرض، فتمكن في جمع كل قوتهم وقدرتهم باتجاه شخص أو مجموعة أشخاص تستطيع بغالبية الأصوات حصر كافة أراذلتهم في إرادة واحدة"³.

1 - - توماس هوبز، الليفيتان، مصدر سابق ص 132

2 - المصدر نفسه، ص 17

3 - المصدر نفسه، ص 179

هذا يعني أن الناس يتعاهدون ويتنازلوا بكل سلطتهم إلى رجل واحد أو جمعية مخضعين له أولها حكمهم واراوتهم ويقول "هوبز" في هذا الصدد إني اتنازل عن قوتي وبعض حقوقي في تجاه هذا الفرد أو هذه الهيئة بشرط ان تتنازل أنت الآخر عن مثل هذه الحقوق لنفس الفرد أو الهيئة"¹.

فالمجتمع السياسي يقوم على أساس اتفاق وليس بين الملك ورغبته وإنما يلزم بين الأفراد بحيث يتنازلون عن كافة حقوقهم الطبيعية لقوة تتمثل في شخص أو مجموعة أشخاص. كانت ثمرة التعاقد بين الأفراد هو اختيار رئيس أعلى للجماعة من بينهم، وعند اختيارهم لهذا الحاكم تنازلوا عن جميع الحقوق الطبيعية التي كانت مقررة لهم في حياتهم البدائية، حتى يقوم الحاكم بحمايتهم والحفاظ على أرواحهم وأحوالهم وإقامة القانون بينهم².

فالأفراد بكامل إرادتهم قرروا اختيار هذا الحاكم ليحمي ويحافظ على حرياتهم وذلك وفقا لقانون مدني غير أن هذا الحاكم ليس ملزما إزاء الأفراد بأي إزام لأنه كان أجنبيا عن العقد هم الأفراد وليس الشخص أو الهيئة لأنها ليسوا طرفا في العقد فالمجتمع ليس له سوى صوت واحد يتكلم به واردة واحدة يستطيع فرضها تلك هي إرادة الحاكم الذي يجعله مجتمعا³.

فالحاكم هو صاحب السيادة المطلقة ولقد أحسن "هوبز" إذ يدعو هذا الحاكم الذي يتحدث عنه لم يكن طرفا فيه كما قرر هوبز.

إن تولد الدولة يقوم على اتفاق يتخلى بموجبه كل مواطن عن دقة في الدفاع عن نفسه (أو الهجوم) بمقابل أن يؤدي الغير اليمين نفسه، وأن مجرد نفسه من كل شيء، بالطريقة نفسها.

1 - رفقى زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة، رؤية نقدية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، دت، ص 37

2 - المصدر نفسه، ص 179

3 - سبائين جورج، تطور الفكر السياسي، تر راشد البراوي، ج 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، ص 200

حيال السيد الأعلى، أما السيد الأعلى فلا يعطي من حجته أي بته أي تعهد¹.

فالمشتركين في هذا لها غانيا" يجمع في يده السيف والصولجان.

فالدولة كالمجتمع نتيجة عقد مبرم بين المواطنين، يتضمن تنازلا عن حقوقهم وتعهدا بالخضوع لسلطة حكم هي بمثابة الشخص الثالث ليس طرفا بالعقد، ولم يكن "هوبز يهتم يكون الدولة ذات السيادة تتخذ شكل الديمقراطية أو "الأوليغاركية" أو الملكية المقيدة، مادامت تؤكد سيادتها في علاقاتها بالدول الأخرى وتحفظ بسلطتها إلى مواطنيها².

هذا يعني أن الناس الذين اتحدوا في شخص واحد كانوا يتعرف بالدولة أو المجتمع المدني مهما كانت طبيعة هذا الاجتماع واختلفت أشكال الحكم داخل الكيان السياسي أو الدولة.

1. السيادة المطلقة:

أن الحرب في إنجلترا كان بالإمكان تجنبها لولم تكن السيادة مقسمة بين الملك واللوردات ومجلس العموم، فحسب هوبز سيادة القوة لا تتجزأ و لتنفصل عن صاحبها، ولا يمكن التنازل عنها للأخر ، فقد نادى هوبز بأن سيادة الحاكم مطلقة لا تحدها حدود او قيود لأن الأفراد تنازلوا بمقتضى العقد الاجتماعي كما كان لديهم من حقوق وحرريات في حالة الطبيعية ، وليس لدي الإنسان إلا أن يختار بين السلطة المطلقة وبين الفوضى وحالة الحرب البدائية، لأن أمن المواطنين يتوقف على قوة السيد الأعلى النتولد هكذا فمن مصلحة الجميع إذا أن تكون هذه السلطة مطلقة³.

فالسيادة هكذا تكون مطلقة ولا يجوز الاعتراض عليها، أو سحب الثقة أو عدو طاعتها من قبل أي فرد لأن مهمتها تحقيق السلام والأمن والابتعاد عن شرور الحالة الطبيعية.

1 - مور فرانسوا، بير، هوبز، فلسفة، علم، دين تر: أسامة الحاج مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د ط، د ت ص 9

2 - سعد فاروق تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده الأمير، دار الأفاق الجديدة، ط22، بيروت، 1999، ص 257

3 - فرانسوا بير هوبز، فلسفة علم دين مرجع سابق، ص.09

إن السيد نفسه هو إنسان ويخاف الموت فهو إله من صنع البشر ولكنه رائل يمكن إزالته إذا ما حكم بغيا. ويشير "هوبز" إلى أن أفضل طريقة يعتمدها الحكم ليحضن نفسه هي تلبية حاجات رعاياه والإقلاع عن استعداداتهم ذلك بأن البشر، وهذا هو المؤهل الثاني يقيمون السيد ليحقق حمايتهم الشخصية، وهم لا يتنازلون قطعا عن حقهم في الدفاع عن حياتهم، فإذا صار يهددهم في حياتهم تبدأ عندها مقاومته¹.

أذا فشل الحاكم في تحقيق الهدف من العقد أو إذا أساء استخدام سلطاته واستبد بالأفراد فهذا يحق للأفراد الثورة عليه لأنه بذلك يعيدهم إلى حالة الفطرة الأولى، لكن هذا التصرف يكون جماعي وليس فرديا.

فالدولة هي مجموع المصالح الخاصة، وعليها أن تدافع عن المواطن وهذا لا يتخلى عن حقوقه للدولة إلا من أجل حمايته، والدولة تفقد مبرر وجودها إذا لم تؤمن الأمن وإذا لم تحترم الطاعة فهي التي تؤسس الملكية (التملك). فملكيتك لا تكون كذلك ولا تدوم إلا بمقدار ما يروق ذلك للجمهور وكل نيل من الدولة هو بالتالي نيل من الملكية².

فالقانون المدني لا يمكن أن يكون مناقضا لقانون الطبيعة، فقد تكون الملكية حق طبيعيا ولكن القانون المدني يعرف الملكية، وإذا ففي على حق معين فإذا فقط ليكون ملكية. ولو حرم السيادة من حق تنظيم الملكية في دولته لما استطاع أن يؤدي وظائف منصبه بان يحمي المواطنين من الأعداء في الخارج ومن اعتداءات كل منهم على الآخر في الداخل، ولن تقوم للدولة قائمة نتيجة لذلك، ويبيح "هوبز" لصاحب السيادة على هذا الأساس أن يتدخل في تدبير للشؤون موارد الدولة بها يحفظ لها الاستقرار والبقاء³.

فالحاكم الحق في إعلان الحرب وعقد السلم مع الدولة الأخرى في الأوقات التي يراها مناسبة وذلك خدمة للمصالح العام ولا تحد السلطة المطلقة التي أسندها "هوبز" لصاحب السيادة إلا بحدود عجزه عن مواصلة عمله الرئيسي وهو كفالة الحياة والأمن لرعاياه. فإذا وقع المواطن أسيرا

1 - كرانستون موريس أعلام الفكر السياسي، دار النهار للنشر، ط 1 بيروت 1991، ص 55

2 - توشار، جان تاريخ الفكر السياسي، تر على مقلد الدار العالمية للنشر والتوزيع 2 روت 1982، ص 262

3 - الخيري مدحت غسان الفكر السياسي المفاهيم والنظريات دار الراجية للنشر والتوزيع عمان 2013 ص 77

في ورثته، أو ما نفى مواطننا من المواطنين، أو إذا هزم في حرب وأصبح هو نفسه خاضعا للمنتصر كل هذه حالات تبيح للرعايا أن يتحرروا من التزاماتهم السابقة نحو صاحب السيادة¹

فهوبز يرى أن السيادة حدود رغم أنه لا يصرح بالثورة على الحاكم إلا أنه يتكلم عن الواجبات الملك في كتابه المواطن " Decive " وفي كتابه "اللفيثان" يتحدث عن الضمير المهني فهو يرى أن هذا الأخير هو أهم حدود سيادة الحاكم. فإذا لم يتصف به الحاكم أو العاهل تحرر الرعايا من رقبته.

أما فينا يخص تحديد حرية "المواطنين" فهم أحرار حين تتدخل القوانين وليس في هذا تحديد للسيادة، مادامت القوانين يمكن أن تتدخل إذا قرر ذلك صاحب السيادة وليس للمواطن أي حق ضد الملك، اللهم إلا ما يخوله لهم الملك بمحض إرادته².

بالنسبة الى العاهل أن خيره وخير شعبه لا يمكن أن ينفصلا لذلك فمصالح الملك تكون في كثير من النقاط عدلا لمصالح رعاياه.

لذلك يقول "هوبز أن السبب النهائي والغاية وهدف البشر بطبيعتهم إلى الحرية وممارسة السلطة على الآخر بين من خلال فرض قيد على أنفسهم والذي يجعلهم يعيشون في إطار الدولة يمكن في التحسب لما يضمن المحافظة على أنفسهم وتحقيق المزيد من الرضا في الحياة³.

أن في تشكيل هذا الكائن الصناعي (الدولة) وتسلطها يعرف الفرد أكمل تطوره، ويجد فيها مصلحة وسعادته، ولدته ورفاهيته باعتبار أن سياسة هوبز هي في آن واحد منفعية ومتعیه عدوانية.

1 - الخيري مدحت غسان الفكر السياسي المفاهيم والنظريات دار الراهية للنشر والتوزيع عمان 2013 ، ص 78

2 - راسل برتراند راسل تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، ج 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب طه الإسكندرية، 1988، ص

97

3- هوبز توماس، اللفيثان، مصدر سابق، ص 175، ص 176

هناك علاقة واضحة بين نظرة العقد الاجتماعي عند "هوبز" ومذهبه في المنفعة الفردية "فالحكم عند "هوبز" يقوم على أساس مبدأ المنفعة تنحصر قيمته يعلمه فقط، ولما كان البديل هو الفوضى فلا يمكن الشك فيها سوف يختاره من يعتق مبدأ المنفعة فمزايا الحكم الملموسة ويجب أن تؤول بصورة محسوسة إلى الأفراد في صورة سلام ودعة وامن للأشخاص ولملكيتهم. وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه بتبرير الحكم¹.
فهذا يعني أن يعني أن الدولة تنشأ عند "هوبز" بمقتضى عقدا اجتماعيا يلجأ إليه الأفراد من أجل الأمن والسلام وحب البقاء. أما النظم التي تصطلح عليها الدولة هي عبارة عن قوانين تمليها سلطة الحاكم أو الإرادة الخاصة لتحقيق في النهاية مصلحة الفرد أو المواطن.

¹- موسي نجاح المنفعة الفردية عند توماس هوبز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001، ص 152

المواطنة عند جون لوك

مما لا شك فيه أن المواطنة عند جون "لوك" قد ارتبط بمفهوم المجتمع المدني، باعتبار أن المواطن هو الركن المحوري في بناء المجتمع السياسي، فصاغ هو الآخر مثل "هوبز" نسق مفاهيم يحول مسألة الذي بموجبه يتأسس الكيان السياسي (الدولة). فحاول التخفيف من غلواء السلطة المطلقة التي نادى بها "هوبز".

رأى "لوك" أن المجتمع السياسي، قد تأسس على وجود عقد انتقل به الأفراد من الحياة البدائية إلى حياة الجماعة، حيث كان الإنسان يتمتع بالحرية التامة في ظل قانون الطبيعة دون الإضرار الاعتداء على الآخرين "فالأفراد" وإن كانوا في حالة مرضية في حياة الفطرة، فقد تطلعوا إلى حالة أفضل فأنشئوا الجماعة حتى يضمّنوا تنظيم الحريات التي يتمتعون بها في حياة الفطرة ومنعوا للاعتداءات الممكن وقوعها عليهم¹.

فالإنسان في حالة الطبيعة يتعرض دائما للتعدي والخوف من المخاطر الدائمة، ذلك سعى إلى الدخول في جماعة مع الآخرين. فلوك "يرى" أن حالة الطبيعة حالة سلام وحسن نية، ومعونة متبادلة، ومحافظة متبادلة على الذات.... ودافع عن هذا على أساس أن قانون الطبيعة يهيئ عتادا كاملا من الحقوق الإنسان وواجباته إن عيب حالة الطبيعة يكمن فحسب في حقيقة أنها لا تشتمل على تنظيم مثل القضاة والقانون المكتوب².

الحالة الطبيعية ينقصها النظام على غرار المجتمع المدني الذي تنظمه القوانين والداستير للحفاظ على حقوق المواطنين. فعدم وجود حاكم بشري عام يتمتع بسلطة القضاء بين الناس تلك حالة الطبيعة، أما اللجوء إلى القوة، بدون وجه حق والإضرار بشخص آخر فتلك هي حالة الحرب،

1 - إسماعيل محمد فضل الله مرجع سابق، ص 30

2- سبائين جورج، تطور الفكر السياسي، ج3، مرجع سابق، ص.269

وهما تتواجدان حيثما يغيب الحاكم العام¹.

فلوك يميز بين حالة الطبيعة وحالة الحرب، فإن حالة الطبيعة هي الموطن الوحيد لحالة الحرب. فحالة الطبيعة هي حالة سيئة يجب ألا تدوم والبديل في ذلك هو " المجتمع المدني باعتباره حالة سلام تهيمن على أولئك الذين ينتمون إليه، بحيث تحرم عليهم حالة الحرب"² فالمجتمع السياسي هو المنفذ الأول والموجه للأفراد للقانون، وهو الذي يكفل الحفاظ على حقوق الأفراد وحررياتهم. ويرى "لوك" أن القوة لا تكون مصدر الصراع والحرب إلا عندما تكون القوة بمعزل عن القانون الطبيعي ... فهي التي تجعل الإنسان في حالة حرب ... فإذا انتهت القوة انتهت دولة الحرب وعند لوك الاختلاف بين حالة الطبيعة وحالك الحرب هو كالاختلاف بين حالة السلام والإرادة الخيرة والتعاون المشترك والأمن وبين حالة العدو والخبث وسوء القصد والعنف والتدمير المتبادل بين الفرد والآخر³.

فالإنسان يلجأ إلى القوة ليصد الاعتداء الناتج عن حالة الحرب بينما الحياة وفقا للعقل هي حالة طبيعية وسليمة، وليست مفترسة كما هو الحال عند "هوبز"، ولا كاملة كما عند "روسو" بل هي حالة الأمر الواقع، وهي وضع قابل للاكتمال.

رغم ما يقوله: "لوك" عن وجوب تمسك البشر بقانون الطبيعة في الحالة الطبيعية إلا أنه يدرك أن واقع البشر يقول شيئا غير هذا فيقول: "الحرية" والمساواة هما من قوانين العقل الطبيعي التي توجه حياة البشر وأفعالهم في حالة الطبيعة حتى يعلن السيد إرادته، ويضع نفسه فوق الآخر ويميز نفسه بوظيفة وحق ثابت في السيطرة، والسيادة، وتضيع الحرية والمساواة وتكون الحرب والعبودية⁴.

ففي الحالة الطبيعية لا يمكن افتراض أي خضوع أو سلطة على البشر بين فرد وآخر بينما تأسيس المجتمع المدني هو فعل الكل أو قوة الجميع يقرر ويحدد بقانون الطبيعة وذلك باعتماده على العقل.

¹ - كروبيسي جوزيف ليوشتراوس، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدغر تر محمود سيد أحمد، ج3، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،

القاهرة، 2005، ص 13، ص 14

² - المرجع نفسه، ص 16

³ - خليفة حسن فريال المجتمع المدني عند توماس هوبز ولوك، مكتبة مدبولي، ط 2، القاهرة، 2005، ص 20

⁴ - المرجع نفسه، ص 19

في الفصل السابع من كتاب جون "لوك" الرسالة الثانية عن الحكومة يحمل عنوان في المجتمع المدني أو "السياسي" يتأتى لنا أن آلية بناء المجتمع المدني أو الدولة هي العقد أو الاتفاق كما هو الحال عند "هوبز" وفي هذا الصدد يقول "لوك": "يقوم فعل العقد بتنازل الفرد عن حقوقه الطبيعية إلى المجتمع ، وبذلك يتحد البشر في المجتمع ، فالاتفاق هو الطريقة الوحيدة التي سلب بها الفرد نفسه من حريته الطبيعية، ويدخل في التزامات المجتمع المدني باتفاقه مع البشر الآخرين على الدخول في وحدة وتشكيل المجتمع السياسي (...).
، وهم بذلك يتعاونون على خلق جسم سياسي، والأغلبية الحق في أن تفعل 1 .

هذا يعني أن المجتمع السياسي عند "لوك" يتكون حينما تتحد مجموعة من الأفراد، وذلك بمحض إرادتهم، يقومون بتعيين الحكومة التي يرونها صالحة لتولي قيادة المجتمع وبذلك يكون الشعب هو صاحب قرار في بناء الحكم.

1. حق الملكية والحرية عند لوك:

إن الأساس الذي يقوم عليه المجتمع السياسي عند "لوك" هو حماية حقوق وحرية الأفراد، فالدولة في نظره هي الضمانة لها بما أن الإنسان يطمح دائما إلى المزيد يمكن أن يضيف حتى لو لم يكن في حاجة إلى ذلك، فالقاعدة الأساسية التي انطلق منها "لوك" هي الحرية والمساواة وهي الحالة تضع لقانون الطبيعة، الذي قيد ملكيته بما يحق له دون التعدي على حقوق الآخرين حيث لا يمكن أن يقوم مجتمع سياسي إلا إذا كانت لديه القوة على المحافظة على الملكيات ومعاقبة المعتدين عليها، وهذا هو وحده دعامة المجتمع السياسي².

فالكيان السياسي يمتاز بسلطات عليا منها السلطة القضائية التي تسن القوانين فهي الجهاز الذي يفصل في النزاعات، حيث تعطي كل ذي حق حقه و "لوك" بدأ بموقفه المعروف أن لكل فرد الحق في أن ينال رزقه من هبات الطبيعة (...). للناس أن يمتلكوا

1 - خليفة حسن فريال المجتمع المدني عند توماس هوبز ولوك، مكتبة مدبولي، ط 2، القاهرة، 2005، ص 29
2- لوك جون " الحكومة المدنية، تر: محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، د ط، د ت ص 75

بضعة أجزاء مما وهبه الله للبشر جميعا، ومن دون أي اتفاق صريح بين عامة الناس.¹ فحالة الفطرة كان يسودها حرية الاستمتاع بالملكية، فالملكية الخاصة تأتي من قاب الملكية العامة وذلك عن طريق العمل ومقداره، لا على الحيازة.

"والطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل الناس فالجميع متساوين مستقلين وليس لأحد أن بسىء إلى أخيه في حياته أو في حياته أو في صحته أو صحته أو في حريته أو في ممتلكاته فالناس جميعا عاملون في هذا الكون الذي صنعه الخالق واتى بهم إلى خضمه لأنه شاء ذلك وأتى بهم لكي يعملوا من أجله فهو مالكم الذي يوجههم كيفما يشاء ورائدهم فيما يفعلون ابتغاء مرضاته، من أجل هذا يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة."² إن الحالة الطبيعية. تتميز بالحرية والمساواة لجميع الناس، بمعنى لا يسيء أحد إلى غيره فالعمل والجهد هما عنوان الملكية في الأشياء.

إن الله قد منح الناس كلهم الأرض كملك مشترك بينهم كما وهبهم العقل ذلك يستعملوه لخدمة مصالحهم وتحقيق رفاهيتهم، هذه الأرض وكل ما تحتويه هبة للناس من أجل الحفاظ على وجودهم لكن ذلك لم يمنع من ذلك لم يمنع من أن يكون لكل إنسان ملكه الخاص الذي يمتلكه باعتبار حقه من بين الأراضي التي وهبها الله لمخلوقاته³

والإنسان استخدم قوته وعيشه وجهده الخاص، فأضفى على الثورة الطبيعية شيئا منفردا صادرا عن شخصه، وبذلك حولها من ملكية عامة إلى خاصة. فكل ما ينتزعه بكده وجهده من الحال التي أوجدته الطبيعة عليها، فقد اختلط به جهده وانضاف إليه شيء من ذاته بات إذن ملكا خاصا به ومن ينكر أن من يقات بالبلوط الذي يلتقطه أو التفاح الذي يقتطفه، قبل ابتداء الملكية الفعلية يصبح، مالكا لهذه الثمار الطبيعية؟ (...)، فمن يور أرضا

ما أو يفلحها أو يزرعها أوجد في استثمارها على أي وجه آخر يكتسب حقا بها.⁴

¹ - إهرنبرغ جون، المجتمع المدني، التاريخ النقدي للفكرة، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط 1، بيروت، 2008، ص 171، ص 172

² - لوك جون "الحكومة المدنية، مصدر سابق، ص 15

³ - المصدر نفسه، ص 31

⁴ - لوك جون "في الحكم المدني، " تر: ماجد فخري اللجنة الدولية لترجمة الروائع، د ط، بيروت، 1959، ص 13 ص 14

فالأرض وخيراتها وجدت لكي ينتفع بها البشر على أكمل وجه، فالملكية عند "لوك" هي ملكية الحياة والأرض. ويقول "لوك أيضا: " الذي يعتمد في غذائه على ما يلتقطه من ثمار "لوك" أيضا من تفاح من فوق الشجر في الغابة إنما يعتبر ذلك من حقه ولا أحد ينكر حقه في هذا الغذاء"¹ .

أو ما يجمعه فالحالة الطبيعة عند "لوك" يسودها مجموعة من الحقوق من بينها حق الحياة من أجل المحافظة على الذات والبقاء.

لقد ضرب لوك أمثالا عن نظريته في حق الملكية حيث تتجلى في قوله: " من يملأ دلوًا من بئر مليئة بالماء يصبح صاحب الماء الذي يملأ به دلوه. وإن الهندي الذي يصطاد غزالا يملكه لنفسه، ولقد استحق كل من هؤلاء المالكين ما يملكون بما بذلوا من جهد وعمل شخصي"²

هذا يعني أن "لوك" لم يقف عند تأكيد حق الملكية على أساس العمل وحده، بل أضاف أن ما يجمع من ثمار الأرض، وما يتم الحصول عليه ببذل الجهد هو أيضا طريق لاكتساب الملكية في الأرض. ويؤكد ذلك في قوله: "العشب الذي يلتهمه حصاني والخضر التي يقتلعها خادمي أو أن أحفر في أي مكان حيث يشترك آخريين في هذا الحق المشاع يصبح ملك لي بدون موافقة شخص آخر فعلي الذي أخرج هذه الأشياء من حاجة الشيوع التي كان فيها فقد ثبتت ملكيتي لهذه الأشياء."³

فهو يقصد بهذا القول إن الطبيعة قد حددت القدر المملوك لفرد من ثرواتها بمدى جهده من ناحية ومدى إرضاء متطلبات الحياة من ناحية أخرى. فيذهب "لوك" بأن "للإنسان حقوقا مطلقة لا يخلقها المجتمع، وإن حالة الطبيعة تقوم في الحرية.

1 - لوك جون " الحكومة المدنية، مصدر سابق ص 32

2 - نصر عبد المعز محمد، في النظريات والنظم السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، 1972 ص 79

3 - لوك جون "الحكومة المدنية، مصدر سابق، ص 32

أي أن العلاقة الطبيعية بين الناس علاقة كائن حر تؤدي إلى المساواة العلاقات الطبيعية باقية على غض النظر عن العرف الاجتماعي، وهي تقيم بين الناس مجتمعا طبيعيا سابقا على المجتمع المدني، وقانونا طبيعيا سابقا على القانون المدني. وعلى ذلك ليس للناس بالطبع حق كل شيء كما يزعم هوبز¹.

فلوك يرى أن الإنسان في الحالة الطبيعية يملك حقوقا مطلقة، تقوم على الحفاظ على حرية الفرد، وتؤدي إلى خلق المساواة، في حين أن المجتمع المدني يسن قوانين وضعية تنظم حياة البشر في ظل لكل ذي حق حقه، دون امتلاك كل وذلك عكس هوبز. في كتابه "في التسامح" دافع "لوك" عن حق الأفراد في الحرية الشخصية ويتجلى ذلك في قوله: "لكل إنسان الحق الكامل في إبداء آرائه حرا من كل قيد، فليس من الحكمة أن ترغم الناس على عقيدة معينة أو رأي خاص².

أي أن حق الحرية هو حق طبيعي خولته له حالة الفطرة التي كان يستمتع بحرية ملكيته الخاصة. فلوك يعتبر أن الإنسان يولد ومن سماته الحرية، حرية التمتع بجميع الحقوق السمة الطبيعية وميزاتها دون قيد أو شرط (...). له حق طبيعي بالمحافظة على ملكه أي على حياته وأرضه ودفع عدوان الآخرين وأذاهم أو لا، والحكم في كل خرق لتلك السنة، وإنزال العقوبات التي يستحقها المجرم في اعتقاله، حتى عقوبة الموت منها على الجرائم التي تستحق عنده مثل تلك العقوبة لفضاعتها³.

فالمجتمع المدني الذي يشكل السلطة السياسية له حق سن القوانين وحتى عقوبة الموت، وذلك لغرض تنظيم الملكية الخاصة. فلقد خلق الناس بطبيعتهم أحرارا ومتساوين ومستقلين ولم يحرم أحد من هذا الحق أو يخضع لأي سلطان سياسي دون رضاه وهو رضا يتفق فيه مع الآخرين فيتحدون في جماعة واحدة من أجل راحتهم وسلامتهم وحتى يسود الوئام فيما بينهم ويتبادلون المنافع⁴.

1 - كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، القاهرة، 2012، ص 153

2 - محمود نجيب زكي، قصة فلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط، القاهرة، 1932، ص 199

3 - حسين السيد عدنان، تطور الفكر السياسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 2012 ص 57

4 - لوك جون "الحكومة المدنية"، مصدر سابق، ص83

فالأفراد لجئوا إلى الاتفاق ليكونوا مجتمع سياسي، يخرجهم من حالة الفطرة التي كانت معرضة للخطر والعدوان.

الفصل بين السلطات:

تأثر "لوك" في نظريته هذه بالخلاف الذي كان قائماً بين الملوك من جانب، والبرلمان الانجليزي من جانب آخر فوضع. نظريته على أساس أن كل نظام صحيح يجب أن يحكمه مبدأ الفصل بين السلطات. فالفرد حينما انتقل إلى حياة الجماعة، فإن تنازل عن سلطته لهذه الجماعة ومن ثم يكون لهذه الأخيرة عدة سلطات.

1. سلطة التشريع: وهي التي حلت محل سلطة الفرد في حياة الفطرة، والتي اكانت تتمثل في اتحاد الإجراءات الكفيلة لحماية نفسه وغيره من الأفراد، فأصبحت الجماعة تباشر هذه السلطة في صورة قوانين.¹

2. وهي عبارة عن سلطة تعيين العقوبات بناء على القوانين المراعاة داخل الدولة .

3. سلطة التنفيذ: فالفرد في حالة الفطرة كان يملك معاقبة من اقترف جرماً للقوانين - الطبيعية، فأصبحت السلطة التنفيذية للجماعة هي التي تختص بمباشرة هذه السلطة، فتسهر على تنفيذ القوانين داخل الدولة.²

4. فهي التي تنزل العقوبة بالمعتدي وتقرر الجزاء المناسب.

5. السلطة التعاهدية أو الفيدرالية: تختص بالمسائل الخارجية كعقد الاتفاقات وإعلان الحرب وتقرير السلام "

أي تهتم بالأمن الخارجي من خلال علاقاتها بباقي الدول والشعوب الأخرى.

فالهئية التشريعية وهي السلطة العليا بما لها من حق التشريع أنها تحمل داخل حدود لا تتجاوزها، كما أن السلطة التنفيذية لها حدود المرسومة التي إن هي تخطتها انحدرت إلى منزلق يفقدها كل شرعية في الإرادة والتنفيذ "فلوك" يرى أن أهم واجبات السلطة التشريعية وضع القوانين التي تحافظ على الحقوق الطبيعية لأعضاء المجتمع. ولقد لخص الحدود التي أقيمت للسلطة التشريعية فيما يلي

1 - إسماعيل محمد فضل الله، مرجع سابق، ص 35. 2 المرجع نفسه، ص 37. 3- المرجع نفسه، ص 37

2 - نصر عبد المعز محمد، في النظريات والنظم السياسية، مرجع سابق، ص 81، ص 82

- يجب على أعضاء السلطة التشريعية أن يحكموا بواسطة قوانين مقررّة ومعلنة تطبق على الأغنياء والفقراء، وعلى المقربين في البلاط، والفلاحين في الحقول. ينبغي ألا يقصد بهذه القوانين أي غرض في النهاية سوى خير الشعب.
 - يجب عليهم ألا يفرضوا ضرائب على ممتلكات الشعب من غير رضا الشعب الذي يمنحه مباشرة أو بواسطة نوابه.
 - يجب أن لا تنقل سلطة من القوانين إلى أي شخص آخر أو نضعها في أي سابق، مكان سوى المكان الذي وضعها الشعب فيه¹.
- هو يريد أن تكون السلطة التشريعية موضع ثقة بين الشعب، وذلك حتى يقبل الشعب ما تشرعه من قوانين.
- مع لوك اعتبر السلطة التشريعية أعلى سلطة في الدولة إلا أنه يعترف بأن السلطة التنفيذية يجوز لها أن تشترك معها في وضع القوانين فتنقيد كل من السلطتين بالأخرى كما، جعل السلطة التنفيذية مسؤولة أمام الشعب².
- فالسطة عند "لوك" على نوعين سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية. حيث يقرر عملية فصل السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية عن الفيدرالية، لأن كلا من هذه السلطات تنتمي إلى أصل مختلف³.
- فهذا يعني أن لكل من هذه السلطات الثلاث حدود مختلفة رغم أنها كلها أشكالاً للحكم. أما السلطة القضائية فلم يعتبرها "لوك" سلطة قائمة بنفسها، ولم يعتبرها جزءاً من السلطة التنفيذية بل اعتبرها جزءاً من السلطة التشريعية.

1 - نصر عبد المعز محمد، في النظريات والنظم السياسية، مرجع سابق ص 82

2 - إسماعيل محمد فضل الله، مرجع سابق، ص 37

3 - المرجع نفسه، ص 36

II. حق الثورة

يرى لوك أنه عندما تتماهى السلطات التشريعية والتنفيذية في القوة لاستعباد البشر وتدميرهم، والتمرد على القانون فهذا يحق للشعب أن يثور ضد هذه السلطات ولا بد أن تقابل القوة بالقوة، "فإذا أخل الملك أو أخلت الحكومة بتعهداتها للشعب وجب عزلها أو عزله وعلى ذلك فالشعب وحده يجب أن يكون هو مصدر السلطات، وبالتالي فهو وحده المرجع في تولي هذه السلطة"¹.

يعني أن الشعب هو صاحب السلطة والسيادة وطالما أن أساس الحكم هو التعاقد المفروض فإذا أخل أي طرف بالعقد يصبح هذا العقد لا غيا. فالحاكم عند لوك "لا يتمتع بالسلطة العليا المطلقة على الأفراد بل بالسلطة المقيدة التي تفرض عليه التزامات محددة. وما دام الأفراد هم الذين اختاروا السلطة الحاكمة فإن خضوع الأفراد لهذه السلطة لن يكون على سبيل الإكراه والإرغام بل يقوم الحكم على رضا المحكومى (...). على الحاكم أن يراعي المصلحة العامة وإذا أخل الحاكم بالالتزامات المفروضة عليه يجب على الأفراد مقاومته ويجوز بالتالي فسخ العقد"².

فالحاكم لا يمثل السلطة المطلقة كما ذهب إليه "هوبز". بل الحاكم هو طرف في العقد فالحاكم، ليس أجنبيا عن العقد، بل يلتزم قبل الأفراد بالتزامات معينة كما أن الأفراد لن يتنازلوا على كل حقوقهم، لأن هناك حقوقا لا يمكن التنازل عنها وهي حق الملكية وحق الحياة والحرية الشخصية، المجتمع المنظم الجديد الذي سينتقل إليه الأفراد يختار سلطة عليا حاكمة وهذه السلطة طرفا في العقد"³.

فالعقد تم بين أفراد من جهة وسلطة حاكمة من جهة أخرى وهنا نميز الاختلاف بين "هوبز" و"لوك"

1 - المنياوي عبد الرشيد ثناء وحسن محمد فتحي فيصل الفكر السياسي، مفاهيم، وشخصيات دار الوفاء لدنيا للطباعة، ط 1، الإسكندرية 2011، ص 48

2 - عمران سعيد محمود وسليم أمين أحمد، النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط1، 1999، ص 327

3 - المرجع نفسه، ص 327

فهذا الأخير يقول بان الأفراد هم طرف في العقد والحاكم هو الطرف الآخر بينما "هوبز" يقرر أن الأفراد هم وحدهم أطراف في العقد والحاكم غريب عن هذا العقد. يقول لوك: "للشعب أن يغير السلطة التشريعية ويزيلها عندما يجد السلطة ريعية تفعل عكس الثقة الموضوعة فيها ... وكل ثقة وضعت بثقة لتحقيق غايات محددة، فإذا أهملت الغاية وتعارضت الثقة فإن من الضروري أن تنتقل السلطة إلى من وضعها في أيديهم أي إلى الشعب".¹

فالشعب هو مصدر السلطة والسلطة ما هي إلا حامية لحقوق الأفراد والمواطنين، فإذا أهدرت هذه الحقوق وجب الثورة عليها بإلزام القانون الطبيعي.

كثيرا ما تحمل الشعب من الحكام القوانين ولكن إذا ما حدثت القوانين ولكن إذا ما حدثت سلسلة طويلة من المظالم والانحرافات والحيل التي تسير في نفس الاتجاه لم يلبث الشعب أن يتنبه إلى ما يختفي وراءها، ويدرك مصيرها فينهضون ويثورون، محاولين أن يضعوا الحكم في أيد تكفل لهم تحقيق الغايات التي من أجلها أقيم ما أقيم، وتخلصهم من أشكال الحكم التي تعد أسوأ بكثير من حالة الطبيعة، والفوضى الخالصة.²

فالمواطنون من الخالصة. أجل المحافظة على ملكياتهم وحقوقهم، دخلوا المجتمع فإذا ما أغفل الحاكم الأهداف العامة، واتجه إلى تحقيق مصالحه الخاصة، أو أهدر سيادة القانون وعمل وفق الهوى وتجاهل إرادة الأغلبية حق للشعب الثورة ومقاومة هذا الظلم والاستبداد. لقد اعتبر "لوك" من أنصار الحكم المقيد وغير المطلق، فالحاكم لديه يجب أن يسعى للمصلحة العامة للأفراد، ويراعي حقوقهم ولا يسعى لصد لصالحه الشخصي فهنا يكمن الفارق، بينه وبين "هوبز" الذي كان يناصر الحكم المطلق، ويفرض على المحكومين الخضوع للحاكم و طاعته حتى لو كان مستبدا.

1 - خليفة حسن فريال، مرجع سابق، ص.59

2 - الخيري مدحت غسان، مرجع سابق، ص 90

المواطنة عند مونتسكيو

تعتبر نظرية الحكومات ونظرية الفصل بين السلطات من أشهر نظريات مونتسكيو والتي أوصلته إلى العالمية، حيث حاول الدفاع عن الحرية وذلك عن طريق توضيح وظائف السلطات الثلاثة المعروفة ولا تكون الحرية إلا إذا تم الفصل بينهما. فهناك ثلاثة أنماط من الحكومات أولها الحكومة الجمهورية حيث يرى أنها وهي الحكومة التي يتولى الشعب السلطة فيها ، وهناك شكلان من هذه الجمهورية : الجمهورية الديمقراطية أي ممارسة السلطة تكون بيد الشعب ومبدأها الفضيلة بالمعنى المدني الأخلاقي أي تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة والجمهورية الأرستقراطية تكون السلطة بيد عدد من الأفراد مبدأها الاعتدال في استعمال عدم المساواة، وكلما إقربت الأقرب الأرستقراطية من الديمقراطية كلما ازدادت ،كمالا، ويقل كمالها كلما اقتربت من إقربت من الملكية¹.

أن طبيعة الحكومة الجمهورية أن الشعب هو ملك وهو صاحب السيادة وسلطة صاحب السيادة وسلطة في حين أن الجمهورية الأرستقراطية تتصف بالكمال والاعتدال لأنها تتميز بالنزاهة وشفافة. أما إذا اقتربت بالملكية فسدت. كما يرى في هذا السياق مبدأها الديمقراطية الفضيلة أي فضيلة؟ سياسية... المواطن في الديمقراطية مطلب الخضوع للقوانين من تلقاء نفسه مادام هو الحاكم وهو الرعية في أن واحد ومادام هذا الخضوع الضروري لبقاء الديمقراطية لا ينسي إلا برضاه².

ومنه يرى مونتسكيو أن الديمقراطية مبدأها الفضيلة التي تدعي إلي حب الوطن والانتماء. فهذه الديمقراطية تستدعي المواطن بالمحافظة والخضوع إليها من تلقاء نفسه.

¹- حاروش نور الدين تاريخ الفكر السياسي، والأزمة لطباعة والنشر، د ط، الجزائر، ص 336، ص 337

² - كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف لنشر، ط5، د ت ص 197

طبيعة الديمقراطية أن الشعب فيها ملك ورعية في أن واحد هو ملك باقتراعه ورعية بطاعته، لولا الأمر المعنيين منه لتنفيذ قوانينه وتدير الشؤون العامة¹.

يعني أن الديمقراطية فيها حق للشعب وملك في وقت واحد هم الذين يصوتون عليه ومن ثم يخولونه تنفيذ القوانين. كما يرى روسو طبيعة الحكومة الجمهورية هي كون سلطة ذات سيادة قبضة الشعب، جملة أو قبضة بعض الأمير².

يؤكد مونتسكيو على أن الحكومة الجمهورية هي سلطة الشعب في حين الحكومة الملكية سلطة الأمير كما يرى كذلك أن " وعلى صاحب السلطة العليا الشعب أن يضع نفسه كل ما يحسن صنعه و عليه أن يصنع بواسطة وزراءه ما لا يحسن صنعه³.

هنا ينصب اهتمامه بشخصية المشروع الحيوي، الذي يرتكز على الحكومة الجمهورية في اختلاف طبيعة الحاكمة، فيما يريده إن الحكومة الجمهورية لمونتسكيو تقترب من جمهورية روسو حيث يرى تقترب جمهورية مونتسكيو جمهورية روسو وفضيلة الواحد من الفضيلة الأخرى يجب الحذر من النسيان أن الأولى تحت إلى الماضي والثانية للمستقل والثالثة جمهورية الشعب⁴.

يعطينا هنا مقاومة فلسفية لهذا الشكل من الحكومة الجمهورية بين مونتسكيو وروسو ومراحل لا يحب نسيانها فجورها الأخير هو الشعب كما أن الديمقراطية حكم لا يعرف فيه الشعب بإرادة أخرى غير إرادته، ولا تكن له فيه سند من سند سوى الفضيلة وحدها المقصود بالفضيلة هنا الفضيلة السياسية أي التعليق العفوي بالوطن⁵.

أن حكم الديمقراطية هو حكم شعب لا غيره التي يتميز بالفضيلة سياسية وهي حب الوطن كما أن الجمهورية تستدعي التصويت بطريقة نزيهة.

1 - كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف لنشر، ط5، دت ص 197

2 - مونتسكيو، روح القوانين، ج 1، تر: عادل زعيتر، اللجنة لترجمة الروائع، القاهرة، د ط، 1953، ص 73

3 - المصدر نفسه، ص 21

4 - التوسير لوى مونتسكيو، السياسة والتاريخ، تر: نادورن كرد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، 2001 ص 62

5 - به اميل تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر، ج5، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت 1993، ص 84

حيث يقول مونتسكيو التصويت بالقرعة من طبيعة الديمقراطية، والتصويت بالاقتراع من طبيعة الأرستقراطية والقرعة هي طريقة انتخاب لاتهم أحدا فهي تدع لكل مواطن أملا معقولا في خدمة وطنه¹.

رأى ارتياح في الطبيعة الانتخاب التي تخص الديمقراطية لاقتراع الرجل المناصب في المنصب المناسب.

وفي مثل هذه الحكومة ينقص على الاقتراع وطريقة في القوانين الأساسية ويزال الشعب حق التشريع، ولا ينزل عن هذا الحق لممثلين أو وكلاء، بل لا تتغير طبيعة الحكومة ووظيفة الوكلاء تنفيذية وإدارية ليس غير².

الديمقراطية هي حكومة لها حق الاقتراع ممثلين. إن المواطنين يمتلكون في الديمقراطية هذا الامتياز الفردي إنتاج هذا النظام نفس الذي يسوسهم بشكل واع وأراد تغيير التشريع لأنفسهم بأنفسهم.. إن مقولة المواطن هذه تحقق الإنسان نفسه مركب الدولة والمواطن هو الدولة في الإنسان الفرد لهذا السبب تشغل "التربية" مكانها ماهية في اقتصاد هذا النظام لدى "مونتسكيو" كما لدى روسو بين مونتسكيو³.

المواطن هو جوهر الديمقراطية لأنه يمثلها بالامتياز ويجد فيها الأمن والاستقرار والحرية والمساواة وهو مركب الدولة وجوهرها أما الشكل الثاني من الحكومات عند مونتسكيو، هو الحكومة الأرستقراطية حيث يرى تكون السلطة ذات السيادة في الأرستقراطية قبضة عدد من الناس وهؤلاء هم الذين يضعون القوانين وينفذونها ، ولا يكون الشعب لديهم، عند أقصى درجة، إلا كالرعية لدى الملك في الملكية⁴.

بين أن هناك الأنبياء. والنبلأ وأصحاب النفوذ وهو أصحاب السلطة ينتخبون مجلسا بينهم وكلما مالت الأرستقراطية إلى الديمقراطية كانت أفضل وخير وكلما اقتربت من ملكية كانت أسوأ وشر.

1 - مونتسكيو، روح القوانين، مصدر سابق، ص 25

2 - كرم يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 60

3 - التوسير، لوي، مونتسكيو، السياسة والتاريخ، مرجع سابق، ص 60

4 - مونتسكيو، روح القوانين، مصدر سابق، ص 28

وفي هذا النظام الأرستقراطي عنده هو ديمقراطية معتدلة محددة المعالم مركزة لا تدع مجالاً للاستبداد والطغيان إن الأمر فيها بيد عدد من صفوة المواطنين بحكم مولدهم تهيؤهم لذلك تربيتهم وهم متساوين فيها بينهم¹.

وضوح النظام الأرستقراطي باعتداله واستقامته باعتباره أرستقراطي ديمقراطي واضح المعالم لا يحتوي على ظلم طغيان.

كما يرى أن هذه الحكومة هي نمط الذي بينه مونتسكيو بشكل رسمي وواضح حيث يتزعم الحكم هناك شخص واحد حسب هواه بدون قوانين وبدون قاعدة ليس له حسب ولا قريب يتحمل الإكراه، وهذا الشخص المستمد يعامل شعبه وكأنه حيوان ولا يميز بين أنواع الاستبداد².

إن الاستبدادية حكم بيد شخص آخر يسير دون قوانين ونظام على حسب هواه يتعامل مع رعيته دون رحمة إن الاستبدادية هي آخر أنواع الحكم "إنه حكم مستتب بخلاف الجمهورية ويشكل مماثل للملكية أنه حكم الأتراك وحكم الفرس واليابان والصين وغالبية بلدان آسيا، إن موقع الأنظمة الاستبدادية يشير منذ الآن إلى أنها تتجاوز حدود الاعتدال"³.

يرى مونتسكيو أن الأنظمة الحكم منها الحكم الاستبدادي حكم ظالم كان في غالبية بلدان آسيا، من أشكال الحكم حسب مونتسكيو هو الملكية حيث يرى أنها الأمير" في الملكية هو في الواقع مصدر كل سلطة سياسية ومدنية وتفرض هذه القوانين الأساسية، بحكم الضرورة، قنوات وسيطة تجرى السلطة منها، وذلك لأنه إذا لم يوجد في الدولة غير واحد من إرادة مؤقتة تابعة لهواها لم يكن ليستقر فيها أمر"⁴

مبدأ الحكومة في الملكية هو الأمير مصدر السلطة بواسطة هيئات ومن طبيعة الملكية هي أنها حكم الفرد بموجب قوانين ثابت أي دستور وبوساطة هيئات منظمة

1 - بدوي طه محمد وليلى أمين موسى، مدخل إلى العلوم السياسية، شركة الجلال للطباعة، د، ط، الإسكندرية، 2001، ص 395

2 - حاروش نور الدين تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة لطباعة والنشر، د، ط، الجزائر، 2010، ص 336، ص 337

3 - التوسير لوي، مونتسكيو، السياسة والتاريخ، مصدر سابق، ص 60

4 - مونتسكيو، روح الشرائع، ج 1، مصدر سابق، ص 31

كالإشراف والإكليروس والمدن تقيد إرادة الملك غير الدستورية¹.

امتلاك الملكية من طرف حكم الفرد بموجب قوانين ودساتير نص على حق الملكية كما أنها "الملكية" تتميز بمراتب وبمقاسات وبنبالة وراثية، ولكن ذلك كله ينظمه القانون فالنابض الرئيسي الذي يصون الملكية ويبقيها قائمة ليس إذا حب الدولة لذاتها أي الفضيلة وإنما هو الشرف أي الانفصال الذي يتمسك بكل فرد أنبلا كان أم برلمانا أم مجرد مواطن بمرتبته وبحقوقه وبامتيازاته².

إن جوهر الملكية هو الشرف الذي يحمله كل فرد اتجاه وطنه فالقانون هو الذي يحميها. في حين أن التربية هي عنصر مهم لا ينال مبدأ التربية في الملكيات في الدور العامة حيث "لا" بأدب الصبا. متى دخل العالم بدأت التربية على وجه ما، فهناك مدرسة ما تسمى "الشرف" هذا المعلم العام الذي يجب أن يسيرنا في كل مكان³.

هنا يؤكد على مبدأ التربية كما سار عليه روسو. وينصب في مدرسة الشرف التي تحت على التربية في الملكيات، ليعم الأمن، والاستقرار في ظل مواطن صالح.

1. علاقة المواطنة بالحرية وفصل السلطات

تعتبر الحرية ونظرية فصل السلطات لمننتسيكيو من أكثر إنجازاته السياسية التي يشاد له بها، إلا أن هذا القول يهزه من عروشه لتأسس الأرسطي السابق. ومن هنا يهدف إلى مبدأ تحقيق التوازن العادل لسلطة بين مختلف القوى المجتمعية ذلك هو كيان الحكومة التي ينشدها مونتسيكيو، ملك، ثم هيئات من إشراف ونبل ورجال دين من جانب هيئة أمنية على القانون على نظرية فصل السلطات لهيئات مختلفة في ظل هذه الحكومة التي تهدف إلى الواجب الحكومة هو ضمان حرية وحقوق الأفراد وتوطيد الثقة بينهم وبين دولتهم وهذا الضمان يأتي عن طريق القانون⁴

مبدأ الحكومة هو ضمان حرية الأفراد

1 - كرم يوسف، مرجع سابق، ص 197

2 - برييه إميل، مرجع سابق، ص 84.

3 - المرجع نفسه، ص 88

4 - حاروش نور الدين مرجع سابق، ص 337.

وحقوقهم تحت هيئة القانون التي هي أساسية يجب أن تكون سلطة الحكومة محدودة وتتمثل هذه الحدود في وجود ثلاثة هيئات سياسية تقوم بدورها المخول وهي:

1. السلطة التشريعية: تكمن مهمتها الأساسية في تحضير وسن القوانين وتعديلها أو إلغائها.

2. السلطة التنفيذية: ومهمتها العمل والإشراف على تحقيق الأمن والدفاع عن البلد.

3. السلطة القضائية: تكمن مهمتها لا في فصل النزاعات وإقامة العدل بين الأفراد ومعاقبة مرتكبي الجرائم وحل الخلافات¹.

شكل الحكومة الصالحة هو المحور الأساسي لمجمل التعاليم الأساسية لدي مونتسكيو، والفصل بين السلطات الثلاثة من أجل تفادي الخطر الذي يمكن لقاءه عند اجتماع هيئة السلطات الثلاثة في رجل واحد ممثل في هيئة واحدة.

إن الحرية عند مونتسكيو هي الحق في عمل كل ما ترخصه به القوانين حيث يرى أن الحرية السياسية للمواطن السياسية للمواطن في اطمئنان النفس الذي ينجم عن الاعتقاد بأن لكل ما يؤمنه تنفر هذه الحرية، الحرية، يجب أن تكون الحكومة على وضع لا يهاب معه المواطن مواطنا آخر².

يرى أن الحرية السياسية للمواطن في زرع الأمن والاطمئنان والاستقرار النفس لدى المواطن وسبيل إلى كفالة هذه الحرية في ظل الحكومة المعتدلة.

يبرز هنا أثر الفقه والواقع الإنجليزي في فكر مونتسكيو حيث يرى بين السلطات التي كانت للإنسان الطبيعي وانتقلت الى الحكومة المدنية وهي تسند إلى هيئتين مختلفتين (...). للأول التنفيذ والثاني التشريع ولا يجوز لأحدهما وخاصة للأول أن يتعدى حدود سلطته.

¹ - حاروش نور الدين مرجع سابق ص 337

² - بدوي طه محمد، وموسى أمين ليلي، مدخل الى العلوم السياسية، شركة الجلال لطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001، ص 397

ليتعدي على سلطة الثاني" ¹.

بروز هيئتين سلطة تنفيذية تتخذ القوانين تشرع الدساتير وقوانين وكل واحد حدودها وقوانينها والواحدة تكمل الأخرى في إطار التكامل.

"وكذلك لا تكون الحرية إذ لم تفصل سلطة القضاء عن السلطة الاشتراكية والسلطة التنفيذية، وإذا كانت متحدة سلطة الاشتراكية كان السلطان على الحياة وحرية الأهلين أمرا مراديا، وذلك لأن القاضي يصير مشرعا، وإذا كانت محددة لسلطة التنفيذية أمكن القاضي أن يصبح صاحباً لقدرة الباقي" ².

في حين فصل السلطات يجلب الحرية إن الهدف الذي يصبوا إليه مونتسكيو والذي بين خلال تعليقاته على الحكومات هو أن تكفل الحكومة الحرية في أوسع مدى فإنه يمقت الاستبداد ويؤيد الحرية الشخصية، وليست تقوم الحرية عنده في أن يعمل المرء ما يريد أن يعمل ما ينبغي عليه أن يريد، وأن لا يكره على عمل ما لا ينبغي أن يريد (...)، هي الحق في أن يعمل المرء كلما تغيره القوانين (العدالة) وإذا كان للمواطن أن يعمل ما ينهى عنه كان لغيره نفس هذا الحق فتلاشت الحرية ³

يؤكد لنا عن الحرية الشخصية للفرد بأن يعمل ما ينبغي عليه عمله، والنهي عن ما يضر بلده ويسيء إليه فهنا يكون مواطن صالح محب لوطنه يشغل حريته في الخير.

الحرية كلمة دلت على معان مختلفة ورأى بعضهم أنها " أطلق على كلمة الحرية على الحكومة التي كانت تلاؤم عاداته وأهوائه، وبما أن آلات الشرور التي يشتكي منها لا تبدو للعيون حاضرة في الجمهورية دائما (...)، فإن الحرية جعلت هذه الأنواع من الحكومات

1 - بدوي طه محمد، وموسى أمين ليلي، مدخل الى العلوم السياسية، شركة الجلال لطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001، ص 397

2 - حسين السيد عدنان مرجع سابق، ص.289

3 - كرم، يوسف مرجع سابق، ص 198

والخلف بين السلطات الشعب وحرية ما يريد¹.

يرى أن الحرية أساس ضمان لحقوق الشعب في ظل الديمقراطية.

إن تحقيق مواطنة الإنسان لدى فلاسفة العقد الاجتماعي اتخذت شكلا سياسيا آخر، فكانت

فكرة التعاقد هي الضمان الوحيد لحقوق المواطن، وحرياته، فالغاية المنشودة من نظرية العقد الاجتماعي هي المحافظة على إنسانية الإنسان من خلال علاقة هذا المواطن بدولته بحيث يسمح هذا الاتفاق بمشاركة المواطن في الشؤون العامة لدولته، وذلك عبر هيئات تمثله، وفي هذا تتأسس مواطنة الإنسان، وتتحقق الوحدة بين الإنسان وسياسة الدولة الذي يضمنه الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة المدنية.

الفصل الثالث
روسو العقد الاجتماعي إلى
إعداد مواطن فاضل

المواطنة كآلية لتحقيق العقد الاجتماعي

لقد انتهج "روسو" خطى هوبز " و "جون لوك" في اعتباره فكرة العقد الاجتماعي أساس بناء المجتمع وتأسيس الدولة هي الإطار العام في الحفاظ على حقوق وحرريات الأفراد، لكن الجديد الذي أضافه روسو إنكاره الحالة التعاقدية الحاكم والمحكوم معتبرا أن العقد الاجتماعي عقد قائم بين أفراد المجتمع أنفسهم وفيما بينهم وليس عقدا قائما بينهم وبين ولاة الأمر فيهم.

كان الهدف منه أن يحصل هؤلاء على الأمن والطمأنينة، دون أن يتنازلوا على كافة ما يتمتعون به من حرية أو مساواة فلم يكن أمامهم سوى أن يتنازل كل فرد نزولا كلياً عن حقوقه للجماعة بأسرها، وكلما كان التنازل كلياً وبلا تحفظ كان الإتحاد أكمل.

بموجب العقد الاجتماعي حسب "روسو" كل واحد يتحد الكل والعقد معقود مع المجموعة كل واحد منا يضع في الشراكة شخصه وكل قدرته، تحت الإرادة العامة ونحن نتلقى ككل أي، كجسم كل، عضو كأنه جزء لا يتجزأ من، الكل وكل شريك يتحد مع الكل، ولا يتحد مع أي شخص بشكل خاص إنه لا يخضع هكذا إلا لذاته ويبقى حراً كما في السابق¹.

للمحافظة على الأمن والاستقرار اتفقوا أن يقيموا مجتمعاً سياسياً على أساس العقد الاجتماعي هو الاتفاق بين أفراد المجتمع لصالح العام لإيجاد سلطة عامة تحقق الحماية المنشودة في إطار المحافظة على الحقوق الطبيعية من حرية ومساواة.

¹ - توشار جان، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 335

يرى "روسو" أن الرغبة في الوحدة واتحاد الأفراد فيما بينهم هي التي أدت إلى هذا العقد الاجتماعي والمقصود بالوحدة هي وحدة الجسم الاجتماعي أي تبعية المصالح الخاصة للمصلحة العامة، والعقد عنده ليس عقد بين الأفراد مثلما يراه "هوبز" ولا عقد بين الأفراد والحاكم كما يراه "لوك" ولكنه إعطاء شكلا آخر بحيث بموجب العقد الاجتماعي كل واحد يتحد مع الكل¹

يختلف "روسو" في صورة العقد الاجتماعي الذي أعطاه صبغة جديدة مغايرة لأسلافه في العقد. يرى أن الأفراد يبرمون العقد مع أنفسهم على أساس الانتقال من الخاص إلى الإرادة العامة. ليكونوا كالبنيان الواحد متماسكين ليعم السلام بينهم في إطار محافظة على حقوقهم فالعقد هو اتفاق بين فريقين أو عدة فرق أو الشعب بكامله يفرض على الفرد التنازل على حريته الطبيعية، بملء إرادته للمجموع. وبذلك يكون الفرد قد دخل الحياة الاجتماعية².

هذا يعني أن بموجب العقد الاجتماعي ينتقل الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المتحضرة ويحل العدل محل الغريزة في الحياة الاجتماعية، ويتحول الإنسان من حيوان غبي إلى حيوان عاقل ويعطي الأعمال الإنسانية طابعها الأخلاقي الذي كان ينقصها. فيرى "روسو" أن أقدم المجتمعات هو مجتمع الأسرة ومن ثمة فإن الأسرة تعتبر النواة الأولى لكل الجماعات السياسية فالحاكم هو ممثل الأب والشعب قياسا هم أبناء والجميع لما كانوا مولودين متساوين، وأحرار لا يتنازلون عن حريتهم إلا لمصلحتهم فقط وكل الفرق أنه في الأسرة يجد الأب لما يبذله من عناية في سبيل أبناءه مكافأة لحبه لهم، بينما تحل متعة السيطرة في الدولة محل ذلك الحب الذي لا وجود له بين الحاكم والشعب³

¹- حاروش نور الدين، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة للطباعة والنشر، د ط، الجزائر، 2010، ص364

²- شربل موريس وفاضل أبي ميشال روسو، حياته، مؤلفاته، وأثره، مرجع سابق، ص 364

³- المنياوي عبد الرشيد، ثناء، وحسن محمد فتحي فيصل، الفكر السياسي، مفاهيم وشخصيات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،

ط1، 2011، ص 49

"فروسو" كان يقوم بعملية مقارنة بين الأسرة والمجتمع، فالأسرة تتعاقد فيما بينها على أساس الحب المتبادل بين الأب والأبناء بينما الحب لا يوجد بين الحاكم والمحكومين، بل تحل محله الرغبة في سيطرة.

يقول "روسو" "بما أن كل واحد سيسلم نفسه لكل فإنه بذلك لا يسلم نفسه لأحد".¹ وبذلك يكون أطراف العقد عند "روسو" هم الأفراد بوصفهم كائن جماعي مستقل، والطرف الثاني يشمل كل فرد من الأفراد منظور إليه كفرد وبهذا لا يجعل "روسو" الحاكم طرفاً في العقد مثلما فعل "هوبز" من قبل مع فارق هام هو أن "هوبز" كان يهدف من ذلك إلى تبرير السلطة المطلقة للحاكم. أما "روسو" فهو لا يقر بالسيادة وسلطة الحاكم بل المجموع الشعب أو الأمة.²

يرى "روسو" أن أطراف العقد هم أفراد طبيعيين ومجموع الأفراد أعضاء الجماعة السياسية، كما أن حالة الفطرة للإنسان أنه اجتماعي بطبعه على عكس. "لوك" و "هوبز" فلوك جعل العقد بين الأفراد والحاكم و "هوبز" أخذ شكل آخر وضع سلطة الحاكمة مطلقة و "روسو" بناء العقد على أساس الشعب.

إن العقد الاجتماعي يجب أن يتم بين الأفراد فيما بينهم وليس بين الأفراد والدولة لأن الدولة تابعة لهم ووجودها لاحق لا سابق لوجودهم.³

يقرر "روسو" أن بناء العقد هو من مجموع الأفراد وان الدولة تكوينهم، أي منهم وإليهم.

¹ - المنيلاوي عبد الرشيد، ثناء، وحسن محمد فتحي فيصل، الفكر السياسي، مفاهيم وشخصيات، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،

ط1، 2011، ص50، ص51

² - المرجع نفسه، ص 51

³ - شربل موريس، وفاضل أبي ميشال روسو حياته، مؤلفاته، وأثره، مرجع سابق، ص 85

ولكيلا يكون "العقد الاجتماعي مجرد قول فارغ، فهو يتضمن التعهد بأن من يرفض طاعة الإرادة العامة فيضطر لأن يفعل ذلك بواسطة المجتمع كله ولا يعني هذا شيئا أقل من إجباره على أن يكون حرا لان هذا هو الشرط الذي يهب كل مواطن نفسه لبلاده فيحميه للاعتماد على نفسه¹.

إن ميثاق العقد الاجتماعي الذي أبرم مع أفراد المجتمع أنفسهم له هدف وقيمة جوهرية في طاعة الإرادة العامة وأقل ما يعنيه هذا التعهد هو إلزام المتمرّد بأن يكون حرا. وبينما تتعاقب الأفكار والعواطف ويروض العقل والقلب يتابع الجنس البشري سيره نحو التآلف، فتنتشر العلاقات وتتوثق الروابط. ويعتاد الناس الاجتماع² الإنسان كائن اجتماعي بطبعه على حد قول الفلاسفة، لا يستطيع العيش بمفرده، فهو يحب التواصل مع أقرانه ويبادلهم الشعور والحب لتوثيق الروابط الاجتماعية.

"فروسو" هنا قد خول السيادة" بالعقد الاجتماعي لشعب جاعلا منه سيّدا في دولة لا تعرف الطغيان ، فيستبد الكل عن طريق القانون الذي يعبر عن الإرادة العامة ما شاء أن يستبد ولكن جورا ما لا يتصور على الفرد إذ لا يعقل أن يقع على الفرد جور على نفسه³. العقد الاجتماعي يعطي المجتمع السياسي سلطة مطلقة على كل أعضائه، وهذه السلطة تتولاها الإرادة العامة تحمل اسم السيادة التي تسن القوانين من الشعب ولصالح الشعب في إطار المحافظة عليه.

ويقول "روسو" في هذا الصدد إن المشرع الذي يوجد في الدولة ليس هو السيد

الحاكم، وإنما تقتصر مهمته على تحرير القوانين وبدونها لا شيء "القانون"⁴.

1 - الخيري غسان مدحت، فكر سياسي، المفاهيم، والنظريات دار الراهية، ط 1، بيروت، 2013، ص95

2 - روسو جان جاك، خطاب" في أصل التفاوت وأسسه بين الناس، مصدر، سابق ص85، ص 86

3 - سلطح محمد فضل الله، المسؤولية السياسية بين الدولة والمواطن، دراسة تحليلية في فلسفة السياسية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية، 2007، ص 103

4 - ليلي كامل محمد، النظم السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، 1969، ص 515

بمعنى أن المشرع له الحكم في تسيير الدولة، وتنفيذ القوانين استنادا إلى رضا الشعب فبدون موافقة الشعب لا يمكن أن يكون هناك قانون ومهمة الحاكم تتمثل في التوجيه والإرشاد فقط فالقانون هو الصوت العام الذي يعبر عن رأي المجموع، صوت الإرادة العامة¹.

فالشعب هو الذي يسن القوانين التي يخضع لها الأفراد.

إن جميع الخدمات التي يمكن أن يؤديها أي مواطن للدولة تصبح واجبة عليه حالما يطالب صاحب السيادة بقضائها، بيد أنه لا يمكن لصاحب السيادة أن يثقل وزر رعايا ما بأثقال لا طائلة بالجماعة من وراءها بل إنه لا يمكن أن يريد ذلك مجرد الإرادة، إذ أن لا شيء يحدث من دون سبب الناموس العقلي، ولا أيضا تحت الناموس الطبيعي علينا إذا نميز أن الحقوق بين الحقوق العائدة إلى صاحب السيادة كما يجب أن نميز بين الواجبات التي ينبغي على المواطنين تأديتها بوصفهم رعايا والحق الطبيعي الذي يجب أن يتمتعوا به بوصفهم بشرا.

1. صاحب السيادة (الشعب):

إن العقد الاجتماعي يعطي المجتمع السياسي سلطة مطلقة على كل أفراد المجتمع المدني فيجب أن يكون لدولة أو المدنية قوة كلية وإكراهية لكي تحرك وتهيئ كل أعضائه يعطي الميثاق الاجتماعي للجسم السياسي سلطة مطلقة على كل أعضائه، فيجب على الدولة أن تكون ذات سلطة وقوة في تسيير الكل مثل الطبيعة.

ومن هنا يمكن أن نقول إن السيادة، ليست سوى ممارسة الإرادة العامة، فإنه يتمتع التنازل عنها وبأن صاحب السيادة، هو ليس موجودا إلا جماعيا لا يمكن أن يمثله أحد عدا أن يمثل نفسه هو بذات إن السلطان يتيسر نقله إلى الغير أما الإرادة فكلا²

1- الشنيطي فتحي محمد، نماذج عن الفلسفة السياسية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، د، ط، الإسكندرية، 2010، ص88

2 - روسو جان جاك في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق، ص 105

إن السيادة مقرونة بالإرادة العامة لديها الحق في التصرف ولا يمكن التخلي عنها لأي شخص كان انطلاقاً منه الإرادة العامة فهي هيئة إرادة الشعب بأسرها، وليست إرادة أجزاء متباينة له، فالسيادة سيادة الشعب كله، وليس لفرد معين وحسب "روسو" يمارس "الأفراد" باعتبارهم مواطنين، سيادتهم جماعياً كلما التقوا في جمعية عامة تدعى بين الحين والآخر، ويكونون عامة خاضعين لحكومة عبارة عن هيئة دائمة، يعهد إليها في الإدارة اليومية ووضع القوانين موضع التنفيذ¹.

يمارس المواطنون سيادتهم داخل هيئة سياسية جماعية تنظم حياتهم وتحفظ لهم الأمن من خلال هيئات إدارية سياسية لا يعترف "روسو" إلا بالسيادة الوحيدة، هي سيادة الشعب أو بتعبير آخر، سيادة هيئة المواطنين التي لها وجود حقيقي بقدر ممارستها لسلطان تشريعي².

السلطة العليا عند "روسو" هي سيادة الشعب بنفسه تحت الإرادة العامة التي تثبت نفسها بوجودها من خلال هيئات سياسية تشريعية تنفيذية، قضائية. فلو أن الشعب يعطي إذن مجرد وعد بالطاعة لا يتحلى الشعب بهذا الفعل، ولا فقد صفته كالشعب وحالما يكون هناك سيد لا يعود هناك صاحب سيادة، ومن ثمة يدمر الجسم السياسي⁴. هنا "روسو" يعارض موقف "هوبز" من سيادة فسيادة الشعب هي الحاكمة، لا يمكن أنتكون في يد السيد.

فالإرادة إما عامة أو لا تكون وإما متعلقة بجسم الشعب أو متعلقة بجزء منه فقط فأما في الحالة الأولى فإن هذه الإرادة الصريحة هي فعل سيادي ولا حكم القانون وأما في الحالة الثانية، فليس سوى إرادة جزئية أو عمل من أعمال ولاية

¹ - كريستون موريس، أعلام الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 75. المرجع نفسه، ص 75
² - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق، ص 106.

حكم، إنها لا تعدوا أن تكون مرسوما لا غير.¹ الإرادة العامة هي لإرادة الكل ضمن الكل لا يمكن أن ينافي بعضهم البعض، وعليه السيادة لا تقبل التجزئة.

"فهوبز" وضع سيادة في يدي الحاكم سواء كان فردا أو مجلسا من الأفراد وحرّم الشعب من مباشرة حق السيادة حرمانا لا مرد فيه أما "روسو" فوضع السيادة في الشعب يدي فهو المصدر الأول والأخير لها لشعب أن يباشر السيادة بإقامة حكومة تعمل وكيّلة عنه في إدارة الشؤون العامة لصالح العام، ويراقبها بالاستمرار في أداء واجبها الموكل إليها.²

نجد هنا نوعان من السيادة لدى فلاسفة العقد الاجتماعي "هوبز سيادة مقيدة من طرف الحاكم الفرد أو المجلس ولا يحق لشعب بمطالبة بحقوقهم ، أما "روسو" سيادة مطلقة في أيدي الشعب وفق إرادة العامة عكس "هوبز" إرادة خاصة .

II. الجسم السياسي من سلطة وأشكال الحكومات

على الرغم من المبادئ التي قدمها "روسو"، فإنه لا قدمها "روسو"، فإنه لا يرى مانعا من أن يكون هناك أنواع عدة من الحكومات كما يفرق "روسو" بين السيادة والحكومة فالأولى تكمن في الشعب أما الثانية فهي وكيل مؤقت، والكيان السياسي تحركه نفس البواعث من إرادة وقوة فالأولى سلطة التشريعية والثانية سلطة التنفيذية

1. أنواع السلطات:

السلطة التشريعية لا تكون إلا من حق الشعب وحق الشعب وحده هو الذي أن يشكل جمعية عامة من كل المواطنين لهذا الغرض بمعنى أنها بالتحديد لا يجب يمكن أن تفوض سلطتها لأحد، ومن مهامها وضع الدستور وسن القوانين بصفة عامة.

¹ - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق ص 107

² - الخيري مدحت عدنان، الفكر السياسي، المفاهيم والنظريات، مرجع سابق، ص 91، ص 92

لذلك عليها أن تعين جهازا تنفيذيا هو الحكومة أي أن الهيئة التشريعية مهمتان لا تنفصلان من القوانين والحفاظ عليها الشعب هو صانع القرار بتكوين هيئة سياسية تسن القوانين وتنظم حياة الأفراد منها السلطة التشريعية وهي. مستقلة في شؤونها العامة السلطة التنفيذية أو الحكومة فينحصر دورها في وضع القرارات الإرادة العامة موضع التنفيذ¹ ومن المؤكد أنه ليس لها أن تشارك في أعمال السيادة فهي مجرد هيئة تتولى تنفيذ القوانين الصادرة عن الإرادة العامة وصيانة الحريات المدنية والممتلكات ، ولا سلطان لها ذا السلطان الوحيد في المجتمع لشعب وحده، وهي مخصصة فقط لتنفيذ القوانين التي تسنها الدولة²

بمعنى تقوم بتنفيذ القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية (الإرادة العامة) فهي تحفظ الحقوق للمواطنين، وتسهر على حمايتهم وحدود الدولة وممتلكات من أراضي وعقارات وإذا ما اعتدى إشراف هيئة المواطنين على سلطة التنفيذية تهاون في دقة المراقبة وإذا ما أصبحت السلطة التنفيذية أكثر استقلالا عن هيئة المواطنين يحصل ما يسميه روسو "تراخي السيادة"³.

يرى روسو أن هناك ترابط وتوافق ما بين السلطات وإن لم يحصل ذلك يحدث خلل وفوضى وتهاون في تسيير الأمور.

2. من أشكال الحكومات:

- الديمقراطية: من المعروف أن الديمقراطية تعني شكل الحكم الذي يتولى فيه الشعب كجسم ليس فقط التصويت على القوانين

1 - إسماعيل محمد فضل الله، رواد الفكر السياسي الحديث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 118

2 - المرجع نفسه، ص 119

3 - كريستون موريس أعلام الفكر السياسي، مرجع سابق، ص.76

وإنما يقرر التدابير الأمور. الخاصة المطلوبة من أجل تنفيذها "1.

نجد هنا أن الديمقراطية يراد بها حكم الشعب ذاته بذاته بطريقة تهدف إلى حماية الممتلكات والحريات العامة مصدرها الوحيد هو سلطة الشعبية التي تشارك في سن القوانين وتنفيذها.

الأرستقراطية: هي الحكومة التي تكون السلطة فيها في يد عدد قليل من الناس ويرى روسو أن هناك ثلاثة أنواع من الأرستقراطية طبيعية (Natural) ، ووراثية (Hereditaiy) وانتخابية (Elective) ، والأول لا تناسب إلا الشعوب البدائية والثانية أسوأ الحكومات جميعا والأخيرة أفضلهم، وهي الأرستقراطية بالمعنى الحقيقي. 2

بين لنا " روسو " هنا أن الحكومة الأرستقراطية هي الأفضل والأحسن. لأنها تتميز باختيار أعضاء عن طريق الانتخاب مما يساعد على وضع الضمانات للحكم الصالح.

الموناركية: وهي الحكومة التي تكون فيها السلطة في يد شخص واحد وهو الذي يتصرف في كل شيء، يقول "روسو" فإن إرادة الشعب وإرادة الأمير وقوة الحكومة الخاصة أمور تلائم كلها ذات الباعث، وأن الجميع يسير نحو غرض واحد فلا، توجد حركات متخالفة متهدامة لا يمكن أن يتصور نظام كذلك يسفر أقل جهد فيه عن أعظم عمل. 3

نجد روسو "لا" يوافق على هذا النوع من الحكومات لأنها تقمع الشعب، وتصبح أكثر قوة من السيادة، في حين تبقى الحكومة المفضلة لديه هي السلطة التنفيذية والتشريعية.

المختلطة: وهي الحكومة التي تجمع بين الحكومتين حكومة يحكمها رئيس واحد وله تابعين وحكومة شعبية لها رئيس لكي كون التوزيع متساويا بينهم

1 - إسماعيل محمد فضل الله، رواد الفكر السياسي الحديث، مرجع سابق، ص 123

2 - المرجع نفسه، ص 123، ص 124

3 - روسو جان جاك "العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق، ص 102

يقول "روسو" فلا بد لرئيس المنفرد من الحكام التابعين، ولا بد للحكومة الشعبية من " رئيس وهكذا يوجد في التوزيع السلطة التنفيذية دائما تسلسل من العدد الأكبر إلى الأقل"¹. هناك دائما في تقسيم السلطة التنفيذية تدريجيا من الأعداد الكبيرة إلى ما هو أصغر منها أو العكس حسب رأي "روسو".

¹- روسو جان جاك "العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق ص 105

روسو والمشروع الفلسفي لإعداد مواطن فاضل

إن مسألة التربية في إعداد مواطن فاضل لم تكن غريبة في فكر "روسو"، فقد تناولها في إطار تفكيره السياسي، غايتها إنشاء مواطنين وطنيين صالحين وكانت آراء الفلاسفة في الطبيعة البشرية والتي بدورها رد فعل متطرف لفساد المجتمع في تلك الحقبة كما يعتقد إن الطبيعة خيرة وإن الشر والفساد من صنع البشر.

يفتح "روسو" كتابه "إميل" بهذا القول " يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال"¹.

يرى روسو " إن الطبيعة خيرة فعندما خلق الله البشر خلقهم طبيون صالحون والمجتمع هو الذي يغير من طبيعتهم وأفعالهم. للقضاء على البشر يلزم فقط التخلي عن المدينة، لأن الإنسان خير بطبيعته والإنسان البدائي، حين يأكل، يعيش في سلام مع الطبيعة كلها، ويكون صديقا لجميع أقرانه من المخلوقات"².

يرى "روسو" إن الحالة الأولى حالة سلام وطمأنينة بعيدا عن انخراطه في المجتمع، يدعو الإنسان إلى الحياة الغابة دعوة إلى الطبيعة، دعوة أخلاقية تربوية. ويقصد في ذلك التكامل بين العقل والغريزة في شخصية الإنسان. إن الإنسان يمكنه إن يعد يديه لأغراض أكثر ملائمة له أعدتها الطبيعة لتبيين من تلك الديدن، ولا يدل أبدا على إن الطبيعة تلك التي قد أعدت الإنسان لكي يمشي مشية تخالف ما تعلمه منها"³.

من خلال هذا القول نرى أن الإنسان قادر على كل شيء بتغيير نمط حياته إلى الأفضل من خلال ذراعيه ورجليه وهذا بالاستعمال الإيجابي في المشي والعمل وأخذ ما يلزمه من الطبيعة.

¹ - روسو جان جاك، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى اللحد، تر نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر، د طه القاهرة، 1958، ص 24

² - برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر فتحي الشنيطي، دار المصرية العامة للكتاب، د طه القاهرة، 1977، ص 292

³ - روسو جان جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر بوليس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، د طه بيروت، 1972، ص 121

وكان هناك فرق ما بينه وما بين الحيوان في الحركة والمشى والموت ... الخ. يرى روسو أن الفعل التربوي القويم هو الأساس حتى يكون منفذ يكون منفتحاً على جميع المجالات، لا كائن مشوه الطبيعة ومن هنا يتبين لنا التربية الطبيعية عند روسو تتضمن حب وحنان وعطف في صرخة إنسانية تدعو إلى محبة الأطفال والعناية بهم حيث يقول في هذا الصدد "أحب" الطفولة ويسرو إليها ألعابها ومسراتها وفطرتها المحبوبة"¹.

لقد ضم كتاب إميل علي خمسة أبواب ويتناول كل قسم مرحلة من مراحل الإنسان وتطوره يتبع فيها روسو مراحل خطي طفله إميل منذ ولادته حتى زواجه.

يرى في المرحلة الأولى التي تبدأ من فترة الولادة حتى سن الخامسة ويبرز أهمية الوالدين كمربين طبيعيين، إذ يقول " أتريد أن يحتفظ الطفل بصورته الفطرية؟ أحفظوها عليه إذا منذ قدومه إلى هذه الدنيا، متى ولد، ألزمه أيتها الأم وألزمه أيها الأب ولا تفارقوه مطلقاً، إلى أن يستوي رجلاً.. وكما تكون المرضع أم الطفل الحقيقية يكون المؤدب أباه فيجب توافق بين قيام المرضع والمؤدب بمهمتهما سواء في الترتيب أو المنهج حتى ينتقل الطفل من يدها إلى يده² .

ينشأ الطفل بفطرتة في المجتمع بين البشر عبداً وطاغية لا يملك أي فهم وعند اقترانه بالمجتمع تظهر مساوئه القبيحة، لأن الفطرة على خلاف المجتمع لا بد من وجود دين يرشده وينصحه ويعلمانه حتى يصير رجلاً، ووجود الأم في الرعاية مهمة جداً في المقابل حضور الأب المؤدب والمرشد لتوازن عملية تربية الطفل جيداً.

¹- دايم عبد الله "التربية" عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1984، ص.384

²- روسو جان جاك، إميل" أو تربية الطفل"، مصدر سابق، ص41

لا بد من وجود الأم لأنها هي الركيزة الأساسية والأولى لأطفالها وللمجتمع، فإذا لم توجد الآباء والأمهات شنت الروابط الأسرية " وسيبدأ بإقناع مربيته بأن تحرر الرضيع من أقمطته لأنها تفوق نمو وتطور أطرافه تطورا سليما، ثم يقنع أمه بإرضاع طفلها بدلا من أن تعهد به، لمرضعة لأن المرضعة قد تؤدبه بقسوة أو الإهمال أو قد تظفر منه بفضل عنايتها الصادقة به بتلك المحبة التي يجب بالطبيعة أن توجه للأم باعتبارها أول مصدر ورباط لوحدة الأسرة والنظام الأخلاقي" ¹.

يرى "روسو" إن العنصر المهم في تربية الطفل هو الأم دون غيرها لأن المربية تعامله معاملة سيئة لا تحمل له أي عطف أو حنان مثل أمه، فالأم هي التي تتجبه من كبدها وترضع من حليبها وتقدم له كل الرعاية والاهتمام.

فروسو يذكر لنا مراحل تطور الطفل من المرحلة الأولى حيث يقول "ولما" كانت المرحلة الأولى من حياة الإنسان مرحلة ضعف وعوز فطفلته الأولى طفولة شكاية وبكاء، يشعر الطفل بحاجاته وليس في وسعه أن يكفيها ².

فالمرحلة الأولى عند الطفل مرحلة طلب المساعدة عن طريق البكاء، والصراخ، فهو بحاجة إلى الآخرين ويدعم كذلك بقوله " وعندما يبكي الأطفال لنزوة أو عناد، فهناك وسيلة فعالة لمنعهم من الاسترسال في البكاء وهي تلهيهم بشيء يجذب انتباههم وينسيهم أنهم كانوا شارعين في البكاء (...)، وجميع النواحي الأولى في فترة الطفولة تحت في وقت واحد فالطفل يتعلم الكلام والأكل والمشى في آن واحد تقريبا ³.

عندما يبكي رضيعها فالأم تكون على دراية على ما يمنعه من البكاء.

1 - ديوارنت وبل رايت قصة الحضارة روسو والثورة، ج1، تر فؤاد أندراوس، دار الجبل، د طه، بيروت، د ت ص 295

2 - روسو جان جاك، إميل أو تربية الطفل، مصدر سابق، ص 66

3 - روسو جان جاك، إميل أو تربية الطفل"، المصدر السابق ص 82، ص 83

كتمه واللعب معه بتقديم له الألعاب تجلبه فالطفولة يبدأ الطفل تعلم من خلال عامة الأم له وأقرانه ومحاولته بالمشي والكل ووظائف أخرى.

أما المرحلة الثانية من تربية " إميل " التي تمتد من ثلاثة سنوات إلى أربعة سنوات إلى اثني عشر سنة وهنا مرحلة مهمة تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الحياة وتنتهي مرحلة الطفولة في الكلام يقل بكاؤهم وهو تقدم طبيعيا (...) متى يتعلم الطفل كيف يتعذب بالأم هينة من غير فزع فسيتعلم بالتدرج احتمال الألم، وهذه هي الشجاعة في جوهرها الأصيل.¹ كل مرحلة من عمر " إميل " وتطوره تدريجيا مهمة في تكوينه فالمرحلة الثانية مرحلة كما يسميها روسو مرحلة الحياة، التي بكاؤه وهنا تكون لديه شجاعة في مواجهة وتصدي الآلام. كما يتحدث عن الدين وقد أورد ذلك في قوله بأن الله إرادة حرة عندما يقول أنا حر في أن أثبت هذا الشيء، أو لا أثبته وفي أن أستلم لما أتأثر به أو انتقده انتقادا منهجيا يؤكد هذا أن العاطفة الباطنية المباشرة هي التي تؤكد لنا ذلك من حرية إرادته حول حقيقة الله.

فما تهتم به الدولة أن يكون لكل مواطن دين يحبب إليه وطنه.² فالدين هو الذي يجعل المواطنين يخلصون في القوانين والعدالة، وهو الذي يكون مواطنين صالحين وفاضلين.

¹ - روسو جان جاك، إميل أو تربية الطفل، مصدر سابق ص68

² - تزيل موريس وفاضل أبي شل سلسلة أعلام الفكر العالمي، مرجع سابق، ص 224

III. مسألة الطبيعة الإنسانية:

رغم ما قدمه لوك وهوبز بضرورة الخروج الإنسان من حالة الطبيعة الأولى إلى حالة المجتمع المدني، فكل واحد يأخذ منحى مغاير، أي أن نظرة هوبز إلى الحالة الطبيعية الأولى نظرة متشائمة جدا، وتصويره للإنسان الأول بأنه كان ذئبا" لأخيه الإنسان¹. نظرة تحتاج إلى إعادة النظر في حين يري لوك أن حالة الطبيعة حالة سلام وطمأنينة تسودها رغبة متبادلة من جانب كل إنسان لتدمير الآخر، ولعلنا نجد تفسيراً آخر أكثر موضوعية في تفسير روسو للحالة الطبيعية للإنسان البدائي.

لم يكن الإنسان يعرف غير الغريزة، فلم يخالجه رغبة سوء احتياجاته العضوية، ولم يتصور في الكون خيرا إلا الغذاء والأنثى، والراحة، ولم يتصور فيه شرا إلا الألم والجوع وكان سعيدا فلم يكن بين الناس في الحالة البدائية أي نوع من صلات الأخلاقية أو الواجبات المشتركة ولذا فلم يكن ممكنا أن يكونوا أختيارا أو أشرارا ولم يكن عندهم فضيلة ولا رذيلة².

إن الحالة البدائية للإنسان كانت تملي عليه غريزته سواء إشباع حاجياته اليومية والبيولوجية من أنثى، وغذاء والراحة ولا يعرف خيرا أو شرا بل كان همه تلبية حاجياته فقط. لقد كان الإنسان البدائي يعيش حياة بسيطة بعيدة عن كل تعقيد، وكان همه الوحيد الحفاظ على ذاته وكان لديه أقران يعيشون مثله، مبعثرين لكن لم تكن لديهم أدنى رغبة في إيذائهم، لذا حرب الجميع ضد الجميع المزعومة من طرف هوبس مجرد حلم خاطئ³.

يري روسو أن حالة الطبيعة حالة سلام وتعاون واستقرار مع أقرانه للحفاظ على بقائهم، ولم تكن لديهم أي نية حرب أو فوضى على عكس هوبز فلقد صور لنا "روسو"

1 - روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت وأسسه بين البشر، مصدر سابق، ص86، ص87

2 - المستكوي نجيب جان جاك روسو حياته، مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، 1989، ص 143، ص 145

3 - روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، مصدر سابق، ص 63

رجل الطبيعة عاريا، سادرا في الغابات، ولا صناعة له ونطق، ولا مسكنا ولا حروب ولا حاجة إلى أبناء جنسه ولا رغبة في أذية أي منهم، حتى ولا معرفة أحد منهم شخصا ... إنه يكفي نفسه بنفسه وليس له إلى العواطف والمدارك التي تتطلبها هذه الحالة¹.

" نجد هنا إن الإنسان البدائي كان همه إشباع حاجاته البيولوجية والشر الذي يخشاه هو الوجود والجوع فقد كان يكره بني جنسه يتألم.

فالإنسان" كان متوحدا في غابة لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده لا لغة له ولا صناعة، ولا فضيلة ولا رذيلة من حيث انه لم يكن له مع أفراد أنواعه أية علاقة يمكن إن تصوير علاقة خلقية ... فقد كانت له القدرة على محاكاة الغرائز والتفوق على العجموات في تحصيل مثل ما توفره لها غرائزها المعينة².

إن الإنسان في المجتمع الطبيعي كان لا يعرف أي صفات خيرة أو شريرة وليس له تواصل مع أقرانه من بني جنسه، فغرائزه هي التي كانت تسير حياته.

كان مطابقا في كل زمن لما هو عليه الآن، كان يمشي على رجليه ويستعمل يديه كما نستعمل نحن أيدينا اليوم مجيل أنظاره في جميع أنحاء الطبيعة رافعا عينيه إلى العلاء، يقيض بها سعة السماء الممتدة الأطراف". ونلتمس لدى رجل الطبيعة حب المعرفة والتطلع والاستكشاف إلى كل ما يحيط به ويقول "روسو" في هذا الصدد أنني ادعي شرف التفكير

الحر³

ففي نظره أن التفكير لا حدود له ولا يعمل سلبيا، وله فعالية وحرية تامة في أن يقارن ويميز بين الأسباب والعلائق ويحكم عليها نفيا أو إثباتا فينظر "روسو" إلى هذا الإنسان" ها إنني أراه قاعدا تحت شجرة

1- كريستون أندريه، روسو، حياته، فلسفة، منتخباته تر صقر، نبيل منشورات عويدات، ط 4، بيروت، 1988 ص 81

2 - كرم يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، دت، ص202

3 - روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، مصدر سابق، ص41. كريستون أندريه، مرجع سابق، ص 65

بلوط نافع عطشه من أول جدول ماء، واجد سرير لنومه عند جذع أول شجرة أمدته بوجبة طعام.¹

كان طعامه ونومه وكل حاجاته يستمدّها من الطبيعة.

فهو "هائم على وجهه في ألعاب لا صناعة له ولا مأوى، ولا حرب ولا ارتباط ولا حاجة لأمثاله، ولا رغبة في إضرارهم. فلم يكن يشم إلا بحاجاته الحقيقية".²

فالبشر في حالة الطبيعة ليسوا صالحين ولا طالحين، إذ لا تجمع بينهم أية علاقة أخلاقية أو واجبات مشتركة. "فمن المؤكد أن الرأفة عاطفة طبيعية وأنها وإن. تجد في كل شخص نشاط حبه لنفسه تساعده على تبادل حفظ بقاء النوع كله وغريزة الرأفة تلعب في الحياة الطبيعية دور القوانين والأخلاق والفضيلة، فهي إذن تخفف من حدة النزوات الأنانية وتسهم في المحافظة على الجنس البشري. فالمشاجرات بصدد أرض أو أنثى نادرة للغاية عند المتوحشين فهم يعيشون معزل عن بعضهم البعض".³

فالأرض من حولهم شاسعة وواسعة تزيد عن حاجاتهم إليها، والحب بالنسبة إليهم لا يتخطى حدود الجنس وهم يجهلون التفاخر والخيلاء ولا يميزون بين ما هو خاصتهم وما هو خاصة الآخرين.

III. من الإنسان الطبيعي إلى المواطن الاجتماعي

إن الإنسان في الحالة الطبيعية لا يكون على صلة بالأشياء وحدها فيتقوّل بقالب ثباتها وبقائها وصحيح أنه تبقى متاحة له على دوام إمكانية الخروج من هذا القالب لأنه قادر على الثناء بنفسه عن الغريزة وقاعدة الطبيعة.

فكيف خرج الإنسان من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع المدني؟

¹ - روسو جان جاك خطاب في أصل التفاوت بين الناس"، مصدر سابق، ص 42

² - المصدر نفسه، ص 72

³ - المصدر نفسه، ص 68

خرج منها اتفاقاً بأن عرضت له أولاً أسباب الطبيعة الجبار وقيض المحرق اضطرتته إلى التعاون مع اضطرتته إلى التعاون مع غيره من أبناء نوعه تعاوناً مؤقتاً كان الغرض منه الصيد، براً وبحراً وتربية الحيوان لتوفير القوت ثم اضطرتهم الفيضانات والزلازل إلى الاجتماع بصفة مستديمة، فاخترت اللغة وتغير السلوك وبرز الحسد ونشبت الخصومة¹.

اضطر الإنسان الخروج من الحالة الوحشية بفعل المصادفة فلو لا خوفه من الظواهر الطبيعية والثروات لما اضطرت إلى الاجتماع بفعل هذا الاتفاق لينتقل إلى إنسان الإنسان، أي الإنسان بكل الإضافات التي أضافتها إليه الحياة الاجتماعية.

كان الجنس البشري كلما ازداد انتشاراً ازدادت المتاعب مع الناس، فاختلاف " الأراضي والمنافسات والفصول أمكنه أن يضطرهم إلى تبديل طريقة عيشتهم². كلما ارتفع عدد البشر ارتفعت معه المشاكل والمتاعب وتضارب المصالح بينهم مما أدى إلى تغيير طريقة العيش والانتقال إلى مجتمع صناعي منظم، ليكون هناك عدل، ومساواة وطمأنينة، وللمحافظة على الأمن والاستقرار

فكان لابد من البحث عن شكل للوحدة أو الاجتماع من شأنه أن يحمي ويقي شخص كل عضو وأمواله شكل للوحدة يكون فيه كل عضو وقد أتحد مع الأعضاء الآخرين غير خاضع مع ذلك إلا لنفسه، ويظل متمتعاً بالحرية يتمتع بها من قبل تلك هي المشكلة الحقيقية والرئيسية التي يبحث العقد الاجتماعي في المدني؟ الحل الصحيح لها³

للمحافظة على الأمن والاستقرار فإن عليهم "أن يقيموا مجتمعاً مدنياً على أساس العقد الاجتماعي، وذلك ليتمتع بحريته المدنية

1 - كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص202، ص 203

2 - روسو جان جاك، أصل التفاوت وأسسه بين الناس، مصدر سابق، ص 80

3 - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي ومبادئ القانون السياسي، تر عبد العزيز لبيب مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011،

يضمن المجتمع الجديد له حمايتها فهذا التنازل مصحوب بإيجاد سلطة عامة تحقق الحماية المنشودة فانتقال الناس من حالة الطبيعة إلى حالة المدنية أيا كان اللون الذي استطاعوا أن يصبغوا به اغتصاباتهم، فإنها لم تكن مستندة إلا إلى غير ثابت واستبدادي وان هذا الحق إذا بني على القوة، فإن في استطاعة القوة أن تنزعه منه دون أن يكون لهم ما يصوغ شكواهم¹.

هذا القوة، يعنى يعني أن جميع الشرور كانت أولى نتائج التملك.

إن أول إنسان صور قطعة أرض وقال هذه لي ووجد حوله أناسا بلغت سذاجتهم درجة تصديقه كان هو المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني وكم من جريمة وحرب وقتل وبؤس وهول كان من جائز أن يوفرها على البشر ذلك الشخص الآخر الذي كان يستطيع أن يخلع الأوتاد ويرفع الحواجز ويملا حفرة الحدود وهب قائلا احترسوا من الإصغاء إلى هذا الدجال وحاذروا أن تصدقوا مزاعمه ... إن الثمرات كلها للجميع وأن الأرض ليست مزرعة للإنسان².

إن الثروات الطبيعية من خيرات وثمرات وأراضي التفت حولها جمع من الناس تضاربت على امتلاكها بالقوة. ولتفادي جرائم وحروب كان كيان المجتمع المدني ينظم الحقوق للأفراد لإعطاء كل ذي حق حقه في حين يحفظ الأمن والاستقرار للجميع وأن كل شيء من ثروات هو ملك لهم.

يعود "روسو" إلى تبني الموضوعية الكلية القديمة، فلا يجد في الإنسان أي دعوة للحياة المدنية" يتبين لنا مدى ما أبدته الطبيعة من عدم مبالاة بالتقريب بين البشر عن طريق حاجات متبادلة وبتسهيل الكلام عليهم مدى قلة عنايتها بتمهيد

¹ - روسو جان جاك، خطاب" في أصل التفاوت وأسسه بين الناس، مصدر سابق، ص.74

² - المصدر نفسه، ص 9.7

السبيل أمام اجتماعهم ومدى قلة اهتمامها بكل ما بذلوه من جهود لعقد أو اصر هذا الاجتماع فيما بينهم¹

إن حالة الطبيعة حالة حسنة، وإذا كان الأفراد قد أرادوا أن يغادروها فلكي يصلوا إلى ما هو أحسن لقد أرادوا أن يقيموا المجتمع السياسي ليجدوا فيه قدرا أكبر من المزايا. يقول "روسو" إن الطبيعة خلفت الإنسان طيبا وسعيدا وأن المجتمع يفسده ويشقيه². يرى أن حالة الطبيعة الأولى حالة سلام وامن وتجعل الإنسان حر غير ملتزم، ليس مقيد بالواجبات ولا عليه ضوابط في حين أن المجتمع يجعله منضبطا بقواعد وقوانين عليه واجبات ولديه حقوق، فهناك سلطة عليا تحكمه ويضيف "روسو" قوله "الشفقة في حالة الطبيعة هي التي تقوم مقام القانون والأخلاق والفضيلة مع هذه الميزة: وهي أنها من أحد يحاول أن يخالف صوته الرقيق، وهي التي تمنع كل همجي قوي من أي سلب طفل ضعيف أو شيئا عاجزا القوت الذي كسبه بمشقة"³.

فكرة طيبة الإنسان المفطور عليها هي تحقق سعادة هذا الأخير.

من خلال هذا الطرح الذي قدمناه نصل أن هناك حالتان مر بهما المجتمع المدني الحالة الأولى كان الإنسان فيها حيوان ذكي يعيش بريء في الحالة العائلية والحالة الثانية الرجل يتطور من حيوان إلى أعني يعيش في قبائل أخلاقية وهذه الحالة الثانية هي حالة الاجتماعية الأولى أفضل حالة وجدت أنها بمثابة بلوغ أو شباب الإنسانية⁴. يرى روسو "أن الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية بمعنى تنظيم مجتمع سياسي هو الأصح والأفضل للحفاظ على الحقوق والاستقرار الناس واستمرار بقائهم.

¹ - برييه إميل تاريخ الفلسفة، القرن الثامن عشر، ج5، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت 1993، ص 196

² - المستكاوي نجيب، جان جاك روسو، حياته، مؤلفاته، غرامياته، مرجع سابق، ص. 156

³ - المرجع نفسه، ص 155

⁴ - المرجع نفسه، ص 165

تجسيد فكرة المواطنة عند روسو وأثرها على الفلسفة اللاحقة

إن مفردات الوقائع السياسية والاجتماعية على السواء ليست واحدة بين المنظرين السياسيين، وإليه يرجع الأمر في تباين الإفهام تبعاً لتباين الخصائص البحثية التي صاغ من خلالها كل منظر سياسي خاصة المفهوم، فكان اهتمام جان "جاك روسو بمفهوم المواطنة من جهة الاجتماعية السياسية بالمعنى الواسع فجعله، ذلك البعد الواسع يرى أن المواطن هو العصب النابض في الحياة السياسية، بصفته قوة اجتماعية وسياسية فاعلة في تشييد صرح الدولة.

فتكون بذلك معالجة "روسو" للمواطن والمواطنة من خلال مشروع الشاخص بنظرية العقد الاجتماعي، والذي يسعى من خلاله إلى تسطير السلوك الإنساني داخل المجتمع، بمعنى أن روسو "سعى جاهداً لجعل الإنسان عاقل وفاضل في مجتمعه. "فروسو" نفسه لم يكن قومياً من أي ناحية رغم أن فلسفته استلهمت في "القومية أنه عن طريق إحياء تألف الشعور والتبجيل الذي تدل عليه المواطنة في الدولة المدينة، جعلها متاحة لأن تكون مظهراً على الأقل للمواطنة في الدولة القومية. أما المواطنة العالمية التي تضمنها القانون الطبيعي فقد ارتأى اعتبارها مجرد ادعاء لتملص من الواجبات المفروضة على مواطن ما¹. إن تجسيد فكرة المواطنة تكون داخل الدولة، فالمواطنة العالمية تعتبرها من لحق الطبيعي للهروب من الواجبات التي تترتب عليهم داخل المجتمع المدني ففكرة

¹- سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، ج4، تر: علي إبراهيم السيد الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، دبت، ص 62

المواطنة تأخذ منحى روسو من العقد الاجتماعي إلى إعداد مواطن فاضل آخر، فهي الضمان الوحيد لحقوقه، والمحددة لواجبات متخذتنا شكلا سياسيا .

ويقول "روسو" في هذا الصدد: لو أتيح لي أن أختار مسقط رأسي لأخطرت مجتمعا يحد امتداده بحدود الملكيات الإنسانية، أي بالإمكان حكمه سياسيا. حكما صالحا ... ففي دولة جميع من فيها من الأشخاص بعضهم يعرف بعض ممتنع أن¹.

تغيب الرذيلة ومكايدها الخفية والفضيلة واحتشامها عن أنظار الجمهور وعن تأتي سمة الالتقاء والتعاون الوديعه التي تجعل من حب الوطن أكثر منه حبا، حكمة، وإنما للمواطنين لا حبا للأرض.

يرى "روسو" أنه لا خيروه في العيش لاختار مجتمعا سياسيا منظم تحكم سلطة عليا يتساوى كل فرد مع الآخر في الحقوق وتأدية الواجبات المخولة إليه، تنعدم الفضائل القبيحة السيئة، ويتم الانتقال من القانون الطبيعي إلى القانون الوضعي الذي يعطى أهمية بالغة للمواطن. فالغرض هو إنشاء دولة توفر لمواطنيها الأمن والاستقرار، بعيدا عن النظريات القديمة التي تحب التملك وتجبرهم بالخضوع لها.

إن هذا الشخص العمومي الذي يتكون هكذا من اتحاد جميع الآخرين، وكان يحمل قديما "المدنية" ويحمل الآن اسم الجمهورية أو الجسم السياسي الأشخاص هذا الجسم السياسي هو ما يسميه أعضاءه دولة إذ كان منفعلا وصاحب السيادة إن كان فاعلا ... أما الشركاء فيطلق عليهم جماعيا اسم الشعب، ويطلق عليهم فرديا المواطنين من حيث هم مشتركين في سلطة السيادية، ورعايا من حيث هم خاضعين لقوانين الدولة.²

¹- روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت وأسسه بين البشر، مصدر سابق، ص 11

²- روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، مصدر سابق، ص 95

عندما يتحد مجموع الأفراد داخل المجتمع يكون لدينا ما يسميه "أفلاطون بالمدينة قديما ومع تطور العصور أصبحت جمهورية أو هيكل سياسي.

يندرج تحت كيان سياسي منظم يدعى الدولة التي يكونها الشعب وكل فرد في هذا الكيان يدعى مواطن يتمتع بكل الحقوق ويشترك في السلطة سياسية وتطبق عليهم قوانين الدولة ، فإن شكل المجتمع الأوحده الذي يعتبره روسو مشروعا هو ذلك الذي يتخذ فيه المجتمعون اسم الشعب بالتعاون و يسمون بالتحديد مواطنون و يشتركون في ممارسة السلطة و يعتبرون رعايا بالمعنى يخضعون لأحكام و قوانين الدولة¹.

عندما يتحد الشعب بالتعاون والتضامن مع بعضهم البعض يصبح مجتمع يحمل مواطنين يمارسون سلطة وتنظيمهم قوانين.

ولقد غز روسو هذه الفلسفة، وبحق تماما إلى هوبز بالقدر ما نسبها إلى لوك "فقبالة هوبز أورد الاعتراض وثيق الصلة بالموضوع بأن حالة الحرب المنسوبة إلى رجال فرادة في حالة الطبيعة تنتمي في الواقع إلى أشخاص عموميين أو كائنات معنوية تسمى حكاما إذ أن الناس لا يقاتلون كأفراد كل منهم منعزل عن الآخرين بل يقاتلون كمواطنين أو رعايا².

إن حالة الحرب المزعومة لدى هوبز لديها صلة وثيقة بالرجال أو الأشخاص غي الحالة الطبيعية، فهم أناسا عاديون على حسبهم أما في الأصل منهم حكاما و البعض الآخر هم مواطنون على حسب رأى روسو.

"لقد اهتدى روسو أيضا في التوصل في هذا الاستنتاج بمواطنته الشخصية في دولة مدينة جنيف. من الصب أن نميز في حياته الأولى أن هذه المواطنة كان

1 - كريستون، موريس أعلام الفكر السياسي المرجع السابق، ص 74

2 - سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، ج 1، مرجع سابق، ص 61

لها أبداً أي تأثير ملموس عليه حينما كان خاضعاً لها، ولكنه بررها ومجدها بعد ذلك وهذا يمكن تثمينه في الإهداء الذي استهل به كتابه "بحث في التفاوت" المكتوب على حدا حينما اعتزم أن يتخذ جنيف موطناً له¹.

فهذا التمجيد لدولة المدينة كان أحد الأسباب التي تفسر لماذا لم تترابط فلسفته السياسية أبداً عن كتب، مع السياسة المعاصرة لها، هو لم يتصور أبداً صياغة نظرية ما.

1. الإرادة العامة:

الإرادة العامة تهدف إلى تحقيق الرفاهية والعدالة والمساواة والأمن لأفراد المجتمع عندما يرغبون في الصالح العام وليس في الصالح الفردي أو الشخصي، فهي صوت الكل لصالح الكل فهنا تبرز إرادة المواطنين في بناء مجتمع سياسي تحوي جماعات من المواطنين يعبر بها عن حريته كعضو في المجتمع، فهي تهدف إلى المنفعة العامة للجميع دون سواء. فإذا كان لوك اعتمد" في هذه النظرية على تقييد الملكية فإن "روسو" "اتخذها" لينادي" عن طريقها بنظرية الإرادة العامة فالمقصود، بالإرادة العامة الخير العام فهي إرادة كل المواطنين وصوت الكل.

"يقول" روسو" : إن إرادتي التي تصغي لصالح العام ومصالح الدولة أفضل بكثير وأفضل واقعية من إرادتي التي تنتشد مصالح الشخصية.²

فروسو يرى أن كل مجتمع سياسي يحتوي على جماعات صغيرة ذات اهتمامات متنوعة، وقواعد خاصة لتوجيه سلوك أعضائها، وتظهر في نوعين من العلاقات، علاقة أعضاء المجتمع وتسمى الإرادة العامة، وعلاقتها بأعضائها وتسمى الإرادة الخاصة، وحينما يقوم الفرد بأداء التزاماته نحو المجتمع فإنه يساهم في صنع الإرادة العامة.

1 - سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، ج 1، مرجع سابق، ص 62

2 - اسماعيل محمد فضل الله، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 89

إن "روسو" يرى في ظهور المجتمع السياسي وسلطة السياسية النتيجة المباشرة للعقد الاجتماعي المعقود بموافقة جميع الإرادات الحرة وجميع أفراد الجماعة الواحدة، ويكون التزام الفرد داخل الجماعة التزاماً حراً وذاتياً لذا جوهر العقد أن يتنازل كل شريك في الاجتماع عن شخصه وعن جميع حقوقه تنازلاً تاماً للمجموعة كلها.¹

طالما أن عدة أناس مجتمعين يعتبرون أنفسهم جمعا واحدا امتنع عليهم أن يكون لهم غير إرادة واحدة تتعلق بالبقاء المشترك وبراءة العيش.

تتكشف الإرادة العامة بعدد الأصوات بشرط واحد أن الناس عندما يصوتون يجيبون عن السؤال في إذا ما كان القانون الذي يصوتون عليه ينسجم مع الإرادة العامة التي مشروع القانون المقترح أن صفات الإرادة العامة لا تزال أم يرفضونه؟².

هذا يعني الواقع لإرادتهم لا على السؤال في إذا ما كانوا يوافقون على قائمة في الأكثرية، فأغلبية الأصوات الانتخابية هي التي تحدد حرية الاختيار في حين إذا غابت هذه الصفات تضحل الحرية التي يطمح إليها هذا الإنسان، جراء مشاركته في بناء الكيان السياسي.

فإذا ما أرحنا جانبا عن الميثاق الاجتماعي بما ليس من ماهيته وجدناه مقصورا على الحدود الآتية يضع كل واحد منا شخصه وكل قدرته موضع اشتراك تحت الأمر العليا التي للإرادة العامة ونحن نتقبل كجسم واحد كل عضو كجزء لا يتجزأ من الكل.³

كل الأفراد المشاركين في الميثاق الاجتماعي تحت السلطة العليا جوهرها الإرادة العامة فكل مواطن يكمل الآخر في تكتل وتضامن للحفاظ على حقوقهم وأمنهم في ظل الكل مع الكل.

¹ - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الاجتماعي، "مصدر سابق ص93. حسين السيد عدنان، تطور الفكر السياسي، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، ط3، بيروت

² - 2012، ص 292

³ - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص.94

يعرف "روسو" الإرادة العامة في قوله: "إنها جسم وسيط يقام بين الرعايا وصاحب السيادة لأجل التبليغ المتبادل بينهما مكلفة بتنفيذ القوانين وبصون الحرية ما كان منها مدنياً أو سياسياً على السواء".¹

فالإرادة العامة إذن هي الطريقة التي يعبر بها الإنسان عن حرّيته كعضو في المجتمع. فالإرادة العامة هي إرادة الأكثرية، ويتم التعبير عنها بقانون وليس بقرار يتعلق بحدث خاص كالحرب أو معاهدة أو ما شابه.²

فالإرادة العامة هي مصدر القوانين وتتكون من كل الأفراد في علاقاتهم بالدولة، وفي علاقاتهم ببعضهم البعض، وحكمها دائماً عادل غير جائر لأنها إرادة الأغلبية والإرادة الكل المواطنين التي تهدف إلى الخير المشترك والصالح العام.

فعلى كل مواطن أن يضع شخصه وخصه وكل سلطته تحت تصرف الإرادة العامة وإن لم يفعل ذلك فهو حر في ألا يفعل، توجب عليه البحث ألا يفعل، توجب عليه البحث عن مجتمع آخر يلاءم أوضاعه ورغباته.³

كل المواطنين هم أحرار يبحثون عن مجتمع آخر يناسبهم تحت تصرف الإرادة العامة فهي لا تقيد الأفراد.

فالواقع أنه إذا كان لا يتعزز توافق الإرادة العامة والإرادة الخاصة في نقطة ما فإنه من المستحيل على الأقل، أن يدوم هذا التوافق ويثبت لأن الإرادة العامة تميل إلى المساواة والإرادة الخاصة تميل إلى التفضيلات بطبيعتها. وأكثر من ذلك استحالة وجود ضمان لهذا الاتفاق، ذلك لأنه حتى عندما يجب أن يوجد، يكون نتيجة المصادفة أكثر منه نتيجة الصنعة.⁴

لكل فرد بوصفه إنساناً إرادة خاصة مختلفة أو متناقضة مع الإرادة العامة التي يسهم فيها باعتباره مواطناً، إذ أن المصلحة الخاصة قد تملي عليه تصرفات غير تلك التي تقتضيها مصلحة المجموع،

1 - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص 146

2 - شربل موريس، وفاضل أبي ميشال روسو، حياته، ومؤلفاته وأثره، مرجع سابق، ص 88

3 - المرجع نفسه، ص 170

4 - حسين السيد عدنان، تطور الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 294.

"فروسو" هنا يريد أن يعمل كل فرد وفق ضميره الأخلاقي، وأن يتجرد من أنانيته ومصالحته الشخصية فعندئذ تصبح مصلحة الفرد هي مصلحة الجماعة.

فإذا كانت الدولة تعتبر شخصية معنوية وحيلتها هي اتحاد أعضائها وإذا كان الأهم فيها هو حرص على حفظ كيان ذاتها، وجب أن تكون لها قوة عامة ومجردة لكي تحرك وتدبر كل جزء بشكل يكون محققاً لأقصى فائدة المجموع فالناس كما يقول روسو، يصبحون متساوين بفعل العرف والحق القانوني وليس كما قال هوبز، لأن قوتهم الجسمانية متساوية في جوهرها¹.

إن الكيان السياسي يعتبر هيئة معنوية ومادية تحفظ وجودها، وتكون لها قوة عامة كما يرى "روسو" أنها تستمد قوتها من العرق والحق القانوني أي سلطة العليا (سلطة قضائية، على عكس "هوبز" الذي يجمع قوته في الحرب ضد الكل).

II. الحرية والمساواة:

إذا بحثنا عما يتكون منه بالضبط أكبر قدر من الخير للجميع، وما ينبغي أن يكون هدف كل نظام تشريعي سنجد أنه يتلخص في شيئين رئيسيين هما الحرية والمساواة "فروسو" يرى أن الهدف الذي تسعى إليه الدولة هو المحافظة على الحرية والمساواة لمواطنيها، ولقد اعتر "روسو" بالحرية وامن بها، حيث نجده يقول في بداية العقد الاجتماعي "لقد ولد الإنسان حراً وفي كل مكان مكبل بالأغلال فما بالك بواحد من الناس يخيل إليه أنه سيد الآخرين والحال أنه لا ينفك عبداً أشد عبودية².

فالحرية هي عنصر مهم وحق طبيعي وإنساني، يتمتع به فلا يجوز التنازل عنه ليصبح عبداً مكبلاً تنهك كل حقوقه³.

¹- سبايين جورج، تطور

²- تطور الفكر السياسي، ج 1، مرجع سابق، ص 70

³- روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص 78

إن الإنسان يساعد الطبيعة في تعلمه بصفته عاملاً حراً، فالحيوان يقبل أو يرفض بدافع الغريزة الفطرية أما الإنسان فيختار الرفض أو القبول بملاً حريته، ومن ثم كان الحيوان لا يستطيع أن يحدد عن القاعدة التي فرضت حتى ولو كان له نفع ذلك أما الإنسان فينحرف عنها مراراً¹.

أن تمييز نوع الحيوان ليس قائم على الإدراك بقدر ما هو قائم على كون الإنسان عامل حر التصرف فالطبيعة أمره على كل حيوان والحيوان يطيعها، أما الإنسان يحص الانفعال ويعرف نفسه أنه حراً في الخضوع أو المقاومة ويرى روسو أن الحرية هي مقدار من القوة تنتزع من هيئة الدولة والمساواة لأن الحرية لا يمكن بقائها دونها².

فالحرية و المساواة أساس لبناء المجتمع السياسي، فهما متلازمتين و يستحيل و جود الأولى في غياب الثانية، وقد أعتبر لوك أن الفرد حراً في قيام بأي عقد، ولكن روسو يعتبر أن سيادة خير ضمان للحقوق الفردية فالحرية" في نظر روسو تختلف عن الحرية الشعب في نظر لوك، يقرن لوك الحرية بالملكية و يقرن روسو الحرية بالمساواة بالنسبة إلى لوك الحرية الواعي كخصوصية و بالنسبة إلى روسو أنها قبل كل شيء تضامن و بالنسبة إلى لوك الحرية خير تحميه ، و بالنسبة إلى روسو أنها مكنة ننجزها³.

هناك اختلاف بين لوك و روسو بالنسبة للحرية على حسب منظورهم فلوك اعتبرها تدرج تحت قانون يحمي مصلحة الفرد مصلحة الفرد ، و يدافع عن حقوق الملكيات و الحريات الخاصة، أما روسو فالحرية هي حرية مطلقة تامة مستنبعة من حق طبيعي مقرونة بالمساواة بين أفراد المجتمع ، بهذا لا يخلق صراع بينهم.

إن تخلي المرء عن حريته هو تخلي عن صفته كإنسان، عن حقوقه في الإنسانية بل عن واجباته إذ أن تنازلاً كهذا منافي للطبيعة الإنسان وانتزاع كل حرية

1- روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت بين الناس"، مصدر سابق، ص 49

2- روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص 140

3- توشار، جان تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 336

من إرادته هو انتزاع كل أخلاقية من أفعاله¹.

والحرية التي يعنيها روسو حرية معنوية أخلاقية تتمثل أساسا في طاعة القانون الذي شارك فيه المواطنون أنفسهم في سنه.

فالمساواة التي كان ينشدها روسو ليست تلك التي تساوى بين الجميع في القوة والثراء بالصورة المطلقة، إنما يعني فيما يتعلق بالقوة أن تسمحوا على الضعف وأن لا تمارس أبدا إلا بمقتضى القوانين، فيما يتعلق بالثراء أن لا يكون أي مواطن من الغير بحيث يستطيع شراء مواطن آخر وأن لا يبلغ مواطن آخر حدا من الفرق يضطره لأن يبيع نفسه².

فهنا يربط روسو المساواة بتشريع القانون وذلك لأن الناس جميعا إذ يشترك في عملية التشريع، لا فرق بين غنى وفقير ولا بين قوى وضعيف فالشعب كله يجب أن يشارك في تشريع القانون وفقا لما تقتضيه الإرادة العامة. فإذا بحثنا بدقة عن محتوى الخير للجميع الخير الذي يجب أن يكون غاية الأنظمة التشريعية، وجدنا أنه يرد إلى موقفين أصليين: الحرية والمساواة الحرية لأن كل تبعية خاصة تضعف الدولة، والمساواة لأن الحرية لا يمكن أن توجد بدونها³.

إن تحقيق الخير العام والصالح العام يتم عبر مقومات هما الحرية والمساواة فكل منهما ينطوي تحت سلطة عليا وهي الدولة.

لما كان جميع المواطنين متساوين بالعقد الاجتماعي، فإن ما يجب أن يصنعه الجميع ينبغي أن يأمر به الجميع وكذلك ليس لأحد حق بأن يطالب غيره بفعل شيء لا يصنعه هو⁴.

¹ - روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص 68

² - المصدر نفسه، ص 140

³ - حسين السيد عدنان، تطور الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 293

⁴ - المرجع نفسه، ص 293

فبالعقد يحكم الفرد على نفسه بأن يكون حرا و تكون الدولة كهيئة قائمة على تنفيذ القوانين التي تكفل للمواطن الحفاظ على جميع حرياته المدنية والسياسية على سواء.

III. الفلسفة اللاحقة:

لقد خلف جان جاك روسو " تراث فلسفي عريق توارثته الفلسفات اللاحقة من بعده، و نلتمس هذا التأثير لدى كل من الفيلسوفين "كان" و "هابرماس".

1. ايمانويل "كانط":

من أعظم فلاسفة العصر الحديث وواضع أسس الفكر الغربي الحد لحدديث، وأحد رواد فلسفة التنوير في أوروبا وكان قارئاً لروسو " حيث يقول: لقد كنت بطبعي مولعا بالعلم ووضعت فيه شرف الإنسان فردني روسو إلى الصواب و علمني أن أضع في مكارم الأخلاق كرامة الإنسان على الحقيقة، وأن الحالة الطبيعية أسمى من الحالة المدنية وتعلمت منه أصول التربية السليمة التي تقوم على ضمان حرية الميول الطبيعية¹.

يظهر أن "كانط تأثر "بروسو" في مسألة الحرية الأخلاقية والحالة الطبيعية.

إن مشروع "السلام الدائم قد استوحاه من النزعة الروسية حيث يقول: حان الوقت الآن لخروج هذه الدول من حالتها الطبيعية الوحشية والدخول في اتفاقات لحفظ السلام. إن حركة التاريخ في معناها تتجه إلى الحد من الضعف والخصام وتوسيع رقعة السلام في العالم".²

فهو يدعو إلى تأسيس الكيان الذي يكفل النظام

1 - جبار دليمة، طبيعة الحرية عند كانط من خلال فلسفته النقدية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة جامعة الجزائر، 2003م، ص 43

2 - ديوارنت وبل قصة الحضارة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع منشورات مكتبة المعارف، ط 6، بيروت، 1988، ص.362

والأمن والسلام ويحافظ على حرية الأفراد. فالإنسان بطبيعته ليس كائنا أخلاقيا بالمرّة، فهو لا يصير كائنا أخلاقيا إلا عندما يرتقي عقله إنه يحتوي في ذاته أصلا على دوافع تبعث على جميع الرذائل (...)، من جهة مع أن العقل يدفعه إلى الجهة المضادة.¹

فالإنسان بين صراع غرائزه وعقله 2013، أي بين مفهومي الواجب الأخلاقي (الضمير) والقانون الوضعي فلا يستقيم الإنسان إلا بالفضيلة.

2. "يورغن هابرماس":

سعى "هابرماس" إلى تغيير النمط الليبرالي " للمواطنة الصالح نمط يأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين دولك القانون والاستقلال السياسي والمشاركة الديمقراطية للمواطنين. إن الدولة لها مؤسسات عمومية بمعنى أن الناس لهم الحق في الاتصال بها والدخول إليها وأنها مؤسسات وجدت لخدمة الناس وبالتالي فالدولة هي العمود أي أنها تهتم بالمصلحة العامة لكل المواطنين غير أن موضوع المجال العمومي هو الجمهور باعتباره ركيزة لرأي العام ذي وظيفة نقدية،²

فأسباب مشاركة المواطن في تشكيل وجهات النظر الممارسات الديمقراطية السياسية. وفي هذا الصدد يقول: "لا توفر الدولة الدستورية الديمقراطية الحرية السلبية فقط من أجل رفاهية مواطنيها، بل تجندهم عن طريق التواصل للمشاركة في المنافسات العامة حول المواضيع التي تهم الكل".³

أي أن الدولة الديمقراطية تضمن حرية الأفراد بتعبير عن انشغالاتهم وجوهر كل ذلك هو التواصل للأخذ والرد بين الطرفين ليتضح الفهم الصحيح.

¹ - إمانويل كانط تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، تر: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر والتوزيع، ط1، تونس،

2005، ص 73

² - أفاية محمد نور الدين الحداد والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، ط المغرب 1998، ص 96

³ - يورغن هابرماس وراتسنغر جوزيف، جدلية العلمنة العقل والدين، تر حميد لشهب جداول للنشر والتوزيع ط 1، بيروت 2013، ص 51

للخروج من وضعية حق الأقوى يلجأ روسو إلى ضرورة التعاقد قصد تأسيس السلطة الشرعية، وتحقيق نقطة نوعية للوجود الإنساني، وبهذا التعاقد ينتقل الإنسان من الفرد إلى المواطن لأن المواطن حسب روسو أكثر إنسانية من الإنسان في الحالة الطبيعية لأن العقد يخلق إنسانية الإنسان، فنظرية الدولة عند روسو هي نظرية الإرادة العامة أو الشعبية باعتبارها صوت المصلحة العامة، وغاية الدولة استعادة الإنسان طبيعته الخيرة المفقودة من خلال خضوعه للقانون. فلقد نبع روسو في الحقل الفلسفي وحاول التنظير لنظام ديمقراطي امتد أثره حتى الفلسفة المعاصرة.

الخاتمة

الخاتمة

إن مفهوم المواطنة يتذبذب ويختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف المذهب الفكري الذي يسود المجتمع في زمن معين فنجد أن اليونان أول من كتبوا عن المواطنة وكانت تشير إلى حق الفرد في المشاركة السياسية وأقيم مبدأ المواطنة على أساس التوريث وهكذا نصل إلى اللامساواة الاجتماعية فهو حق مقصور على طبقة دون أخرى، أما في مرحلة العصور الوسطى أخذت المواطنة طابع الخلاص والتسامي الروحي مع جو من الظلم والاستبداد وانتهاك الحقوق من حرية ومساواة.

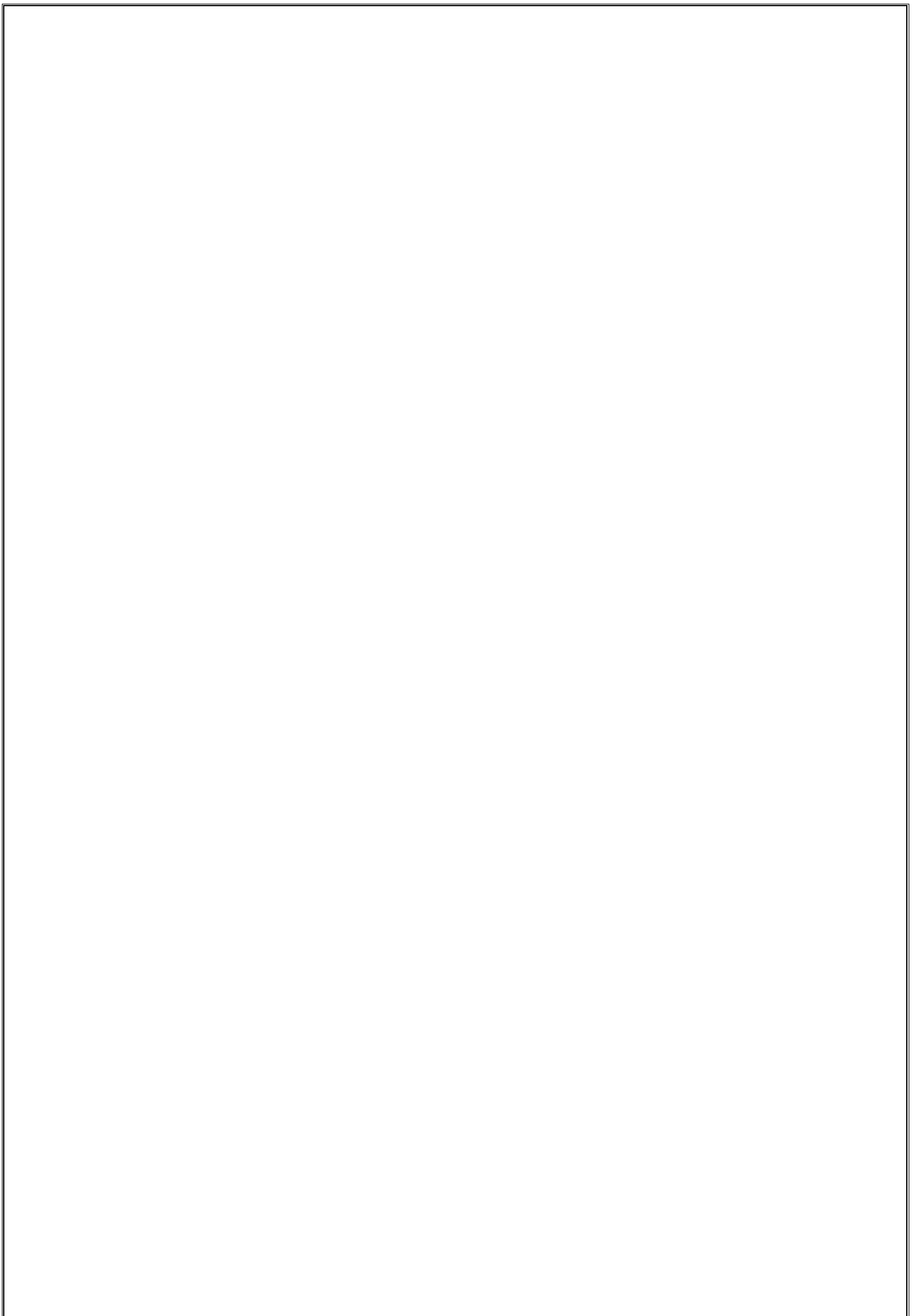
دفع هذا مفكري أوربا إلى هدم بنيان أسس تلك المظالم أما موضوع المواطنة في الفلسفة الحديثة يختلف كثير لا عن ما حدده أرسطو خصوصاً فلاسفة العقد الاجتماعي فكانت فكرة التعاقد في الضمان الوعيد لحقوق الحوا لمن والمحددة لواجباته والذي يضمنه الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة المدنية.

إن المواطنة كمطلب اجتماعي ومن القيم الاخلاقية لا يمكن تحقيقها إلا في إطار الدولة وعلى هذا الأساس عمل مفكري العقد الاجتماعي على إخراج فكرة المواطنة من مجرد الانتماء إلى دين أو طبقة إلى مفهوم سياسي يعتمد الدولة معيار ويعتبر الفرد أو المواطن هو الفاعل في القرار السياسي الذي تتأسس عليه الدولة

كان اهتمام روسو مفهوم المواطنة من جملة اجتماعية سياسية حيث يرى أن المواطن هو العصب النابض في الحياة السياسية وعمل في نظرية العقد الاجتماعي في كتابه الذي وصف بإنجيل الحرية أو كتاب العدالة عمل على التأسيس الحديث للدولة والنظام الجمهوري وكان كجهاز إداري واقتصادي وفضاء التحقيق إنسانية الإنسان وتخليص الممارسة السياسية من أوجه التعسف التي طبعت الأنظمة السياسية السابقة التي كانت تتغذى على الكلمة الدينية بكثير من الضبابية في ربط السيادة بالدولة والمواصلة بمفهومها المعاصر من نتاج التطور التاريخي لثلاثة أجيال من الحقوق الحقوق المدنية كحق التملك الحقوق السياسية لحق الانتخاب والترشح والحقوق الاقتصادية كالدعم المادي

إلى الاختلاف في تناول فكرة المواطنة من مفكر لآخر سببه ظروف وعصر المفكر فالفلسفة في التعبير الروحي عن العصر الذي تنشأ فيه وبالتالي فهناك ثلاث محاور أساسية تشكل البنية التحتية لفكرة المواطنة من المحور السياسي الاجتماعي والاقتصادي.

المصادر
والمرجع



أ. قائمة المصادر باللغة العربية:

1. روسو جان جاك، إميل او تربية الطفل من المهد الى اللحد تر نظمي لوفاء، الشركة العربية لطباعة والنشر، د، ط، القاهرة، 1958م.
2. روسو جان جاك، الاعترافات ج3: تر رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع د ط، بيروت، 1982م.
3. روسو جان جاك، خطاب في أصل التفاوت وأسسها بين البشر تر بولس غانم اللجنة، اللبنانية لترجمة الروائع، ط 1، بيروت، 1972م.
4. روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر عبد العزيز لبيب مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2011م.
5. روسو جان جاك، هواجس المنفرد بنفسه تر بولس غانم اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، د، ط، بيروت، 1983م.

ب. قائمة المراجع باللغة العربية:

1. النشار مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج2، دار قباء لطباعة والنشر، د ط، القاهرة 2000م،
2. النشار مصطفى الحرية والديمقراطية والمواطنة، قراءة في فلسفة أرسطو السياسية، الدار المصرية السعودية لطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 2008م
3. النشار مصطفى فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، القاهرة، 1998.
4. النشار مصطفى، تطور الفلسفة السياسية، من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية السعودية لطباعة والنشر، د ط، القاهرة، 2005م. 5- النقاطي حاتم، مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسو، دار الحوار لنشر والتوزيع، ط 1، سورية، 1995م.
5. الخيري مدحت الفكر السياسي، المفاهيم والنظريات دار الراية لنشر والتوزيع ط 1، عمان، 2013م.
6. القديس اغسطين الاعترافات دار المشرق، ط 4، بيروت، 1991م
7. القديس اغسطين مدينة الله تر: الخور أسقف يوحنا الحلو، ج 1، دار المشرق ط 2 بيروت 2006م.

8. القديس توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج 2: تر الخوري بولس عواد المطبعة 9- الأدبية، د ط، بيروت، 1896م
9. -الفرابي ابو نصر، المدينة الفاضلة عاصمة الثقافة العربية الجزائر، 2007م.
10. الخضور علي سلامة، الإنتماء والمواطنة، دار كنوز المعرفة العلمية لنشد والتوزيع، ط 1، عمان 2011م.
11. المستكاوي نجيب، جان جاك روسو حياته مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق لنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 1989م.
12. الشنيطي فتحي محمد، نماذج عن الفلسفة السياسية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية، 2010م.
13. الدايم عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين دار العلم للملايين، ط 5، بيروت 1984م.
14. المنياوي عبد الرشيد ثناء وحسن محمد فتحي فيصل الفكر السياسي مفاهيم وشخصيات دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية 2011م.
15. إسماعيل محمد فضل الله، فلسفة السياسة، دار الجامعة الجديدة لنشر والتوزيع، د ط الإسكندرية 2008م
16. ارسطو، السياسات تر اغسطين بربرارة البولسي اللجنة الدولية لترجمة الإنسانية، د ط، بيروت، 1957م.
17. أفاية نور الدين محمد الحدائة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس إفريقيا الشرق، ط 2، المغرب 1998م.
18. الدهان، سامي جان جاك روسو، دار المعارف لطباعة والنشر، د ط، القاهرة، 1959
19. اندرزجي، أقدم لك كانط تر إمام عبد الفتاح إمام مجلس الأعلى لثقافة، ط 1 القاهرة، 2002م.
20. التوسير، لوى مونتسيكيو، السياسة والتاريخ: تر نادر، ذكر د التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت. 2010م.

21. إهرنبرغ جون، المجتمع المدني، التاريخ النقدي للفكرة، تر على حاكم صالح وحسن، ناظم مركز الدراسات الوحدة العربية للتوزيع والنشر، ط 1، بيروت 2008م،
22. بريهه إميل تاريخ الفلسفة القرن الثامن، عشر ج 5: تر جورج طرابيشي دار الطليعة لطباعة والنشر، ط 2، بيروت، 1993م
23. بدوي طه محمد، وموسى امين، ليلي مدخل الى العلوم السياسية، شركة الجلال لطباعة والنشر، د ط الاسكندرية 2001م.
24. توشار، جان تاريخ الفكر السياسي، تر علي مقلد، الدار العالمية لنشروا لتوزيع، ط 2، بيروت، 1983م.
25. حسين السيد عدنان، تطور الفكر السياسي، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت. 2012م
26. حاروش نور الدين تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة لطباعة والنشر والتوزيع، د ط الجزائر، د.ت.
27. خليفة حسن فريال المجتمع المدني عند توماس هوبز ولوك، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 2005م.
28. ديوارنت ويل رايت قصة الحضارة (روسو)، والثورة ج 1، تر فؤاد اندراوس دار، الجبل، د ط بيروت، د.ت.
29. ديوارنت ويل، رايت قصة الحضارة من افلاطون الى جون دوي تر فتح الله محمد المشعشع منشورات كمتبة المعارف، ط 6 بيروت. 1988م.
30. ريان ابو علي محمد، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 2000م.
31. راسل، بتراند تاريخ الفلسفة الغربية، ج 3، تر محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، الإسكندرية، 1988م.
32. رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة رؤية نقدية مكتبة النهضة المصرية، د ط القاهرة، د.ت.
33. رشوان احمد عبد الحميد حسين الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع مكتب الجامعي الحديث، ط 4، الاسكندرية 2011م.

34. سلطح محمد فضل الله، المسؤولية السياسية بين الدولة والمواطن، دراسة تحليله في الفلسفة السياسية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط 1، الاسكندرية 2007م.
35. سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، ج 4: تر علي ابراهيم السير الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة. د.ت.
36. سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، ج 3، تثر راشد البراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب د ط، القاهرة. د.ت.
37. سبايين جورج، تطور الفكر السياسي، تر حسن جلال، العروسي الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، د.ت.
38. سعد فاروق تراث الفكر السياسي قبل الامير، وبعده الامير منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 22، بيروت، 1999م.
39. سيدي محمد ولديب الدولة وإشكالية المواطنة قراءة في مفهوم المواطنة العربية، دار كنوز للمعرفة العلمية لنشر والتوزيع ط 1، عمان، 2012م.
40. شربل، موريس وفاضل ابي ميشال سلسلة اعلام الفكر العالمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1، بيروت، 1978م.
41. عمران سعيد محمود، وسليم امين احمد النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1999م.
42. غوش ريمون الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقى للطباعة والنشر، ط 1، بيروت 2008م.
43. غالي زكي ميلاد الله في فلسفة القديس توما الإكويني، مركز الدلتا للطباعة والنشر، د ط، الإسكندرية، 2000م.
44. فيروانت كرسنو، وكلموفسكي اندرزجي أقدم لك كانط، تر امام عبد الفتاح إمام مجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2002م.
45. فياض حسن عامر ومراد عباس علي، مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط دار الزهران، ط 1، عمان 2011م. 47- كرم، يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط القاهرة، 2012.

46. كرسنون، اندريه، روسو، حياته فلسفة، منتخبات تر صقر، نبيل منشورات عويدات، ط 4، بيروت، 1988م
47. كانط، امانويل تأملات في التربية ماهي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، تر محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، ط 1، تونس، 2005م.
48. كرسنون، موريس اعلام الفكر السياسي، دار النهار، لنشر، ط 2، بيروت، 1981م.
49. كروبسي جوزيف ليوشتراوس تاريخ الفلسفة من جون لوك الى هيدغر، ج 3، تر محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2005م.
50. ليلي كامل محمد، النظم السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط بيروت، 1969م.
51. لوك، جون في الحكم المدني تر ماجد فخري اللجنة الدولية لترجمة الروائع د ط، بيروت، 1959م.
52. لوك جون، الحكومة المدنية: تر محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات د ط، الشرقية، د.ت.
53. مونتسيكيو، روح الشرائع، ج 1، تر عادل زعيتر اللجنة الدولية لترجمة الروائع، د ط، القاهرة، 1953م.
54. محمود نجيب زكي، قصة الفلسفة الحديثة اللجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط، القاهرة، 1932م
55. مطر أميرة الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، 1977م.
56. محاورات، أفلاطون تر زكي نجيب محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط القاهرة، د.ت.
57. مطر حلمي أميرة، فلسفة السياسة من افلاطون الى ماركس، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 6، القاهرة، 1999م.
58. مورو فرانسو بيير، هوبز، فلسفة، علم دين: تر أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع د ط، القاهرة، د.ت.
59. موسى نجاح المنفعة الفردية عند توماس هوبز دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية، 2001م. 62- نصر عبد المعز محمد، في النظريات والنظم الأساسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، 1972م.

60. هوبز توماس الليثيانان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر ديانا حرب وبشرى صعب هيئة أبو ظبي لثقافة والتراث، 2011م.

61. هابرماس يورغن جوزيف رت سنغر، جدلية العلمنة العقل والدين تر حميد لشهب - جداول لترجمة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 2013م.

62. همبشر ستيوارت عصر العقل فلاسفة القرن 17، تر ناظم، طحان دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 2، سورية 1986م.

ج. قائمة المعاجم والموسوعات:

1. الحنفي منعم، المرجع الشامل للمصطلحات الفلسفية مكتبة مدبولي، ط 3، القاهرة 2000.

2. ابن منظور، لسان العرب، ج 13، دار إحياء التراث العربي، ط 3، بيروت، 1999.

3. الجراد، خلف معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 2008.

4. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3، بيروت، 1995م.

5. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1982م

6. طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، فلاسفة، مناطق، متكلمون، لاهوتيون، (المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 3، بيروت 2006م.

7. عباس فيصل، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، ط 1، بيروت، 1994م.

8. غيث عاطف محمد قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية 2007م.

9. موسوعة لالاند الفلسفية، معجم المصطلحات الفلسفية النقدية، تر خليل احمد خليل عويدات للنشر والطباعة د ط، بيروت، 2008م

10. مذكور إبراهيم، معجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأنبرية، د ط، القاهرة، 1983م.

11. وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع د ط، القاهرة، 2007م.

12. يعقوبي محمود، معجم الفلاسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، ط 1، القاهرة، 2008م.

13. محمود نجيب زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة تر فؤاد كامل واخرون دار العلم، د ط، بيروت، د.ت

جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau في 28 يوليو سنة 1712 بجنيف وتوفي في تموز سنة 1778 في إمنوفيل (فرنسا)، من أبوين أواسط الناس هما إسحاق روسو صانع ساعات وسوزان برنارد "ابنة رجل أنعم من زوجها حالا ويشتغل بمهنة التعليم. ولقد كان جد الروسو "الأببية" من باعة الكتب في باريس أما، جده لأمه كان راهبا "بروتستانتيا " 1

اضطر أبي لأن أبي لأن يهجر "جنيف" عقب مشاجرة، بينه وبين عسكري فرنسي، كادت تلقي به إلى السجن دون مبرر قانوني فبقيت في كنف خالي بريار الذي أرسلني سلمي مع ابنه إلى (بوسى) لنقيم في رعاية القس البروتستانتى " لامبر سيه ". ولنتلقى العلم على يده ويدي أخته. وكانت الأنسة "لامبرسية" تلبى حنان الأم، ولكن عقابها إياي ينه المشاعر الشهوانية في كياني " 2

عاش هذا الأديب أجمل أيام شبابه خاصة وحياته عامة بتعرفه إلى السيدة "دي فارنس" والإقامة عندها وفرقتة عنها فترة قصيرة ثم العودة إليها وفي عام 1745 تعرف إلى السيدة "تيريز" لوقا سور ورزق" منها ولدا كان الأول من أولاد خمسة اختار إدخالهم جميعا إلى دور "الأولاد" اللقطاء" وسوغ فيما بعد عمله، هذا حيال منتقديه لتصرفه على هذا الشكل في عام 1768 عقد زواجا مع تيريز وظلت قربه خر حياته. 3

1. روسو جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي"، مصدر سابق، ص 21.

2. روسو جان جاك، اعترافات، ج 3، تر رامز خليل سركييس اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، د ط، بيروت، 1982، ص5.

3. روسو جان جاك، هواجس المنفرد بنفسه، تر بولس غانم اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ط، بيروت 1983 ص 9 ص 10.

خلف "روسو" آثارا خالدة للإنسانية فيها شعر وفيها نثر، وفيها مسرحيات وروايات ومؤلفات موسيقية كثيرة، وأغان جميلة، فطرق كل باب من أبواب التأليف وعزف على كل وتر من أوتار الإلهام والوحي¹.

كتب خطاب في العلوم والفنون ونشره عام 1750 وكتب أوبرا جديدة بعنوان عراف القرية ورسالة إلى دالامبير حول المسرح نشر عام 1758، ثم كتاب "جولي" أو "هيلويز" الجديدة 1761 و "العقد الاجتماعي 1762" وأحرق علنا، كما رد على منتقديه في رسائل مكتوبة من الجبل 1764 وكتابه اعترافات" جان جاك روسو ثم روسو" ثم مؤلف المحاورات"، "روسو" يقاضي جان جاك" وأخيرا" منتزه" منفرد "1776"

في 21 ديسمبر 1790، قرر المجلس التأسيسي الفرنسي أن يضع تمثالا في باريس لابن جنيف، ولم يصنع لغيره قبله أي تمثال وفي 11 أكتوبر، 1794، قررت

الأمّة أن تعترف بجميل هذا الوافد العظيم³.

1. الدهان سامي، جان جاك روسو، دار المعارف للطباعة والنشر، دط، القاهرة 1959، ص 130

2. طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة (فلاسفة، مناطق، متكلمون، لاهوتيين، المتصوفون، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 2006، ص 229

3. الدهان سامي، مرجع سابق، ص128، ص 129

• فهرس الأعلام:

1. "بركليس"¹: (490-429) ق م، فيلسوف أثيني وحفيد كليستينيس ورث عنه حب الديمقراطية والحرص على المشاركة كل المواطنين في سياسة المدينة.
2. "سقراط": ولد عام 470 ق م، لأسرة أثينية متوسطة الحالة، وكان موته في شهر فبراير 399 ق م من أهم تلاميذه "أفلاطون"².
3. "أفلاطون": (427-347) ق م، فيلسوف يوناني من أكبر الفلاسفة. وضع نسد فلسفيا كاملا ذا نزعة مثالية تناول مشاكل الوجود والمعرفة في صورة محاورات بينه³ وبين تلاميذه وعددها 22 محاوره منها "الجمهورية و النواميس".
4. "أرسطو": (384-322) فيلسوف يوناني من تلاميذه أفلاطون" وله جملة آثاره تنقسم إلى كتب منطقية "الأرغانون" وكتب طبيعية وكتب ما بعد الطبيعة⁴
5. "أوغسطين": (354-430) ق م، كان مناوبا تأثر بحجج الشكاك وقرأ مؤلفات "الأفلاطونية المحدثه، فأخذ يتفهم المسيحية، من مؤلفاته "مدينة الله" والاعترافات"⁵.
6. "توما الإكويني": (1225-1774)، في قصر روكاسيا بالقرب من أكونيو بإيطاليا الجنوبية. وفي عام 1323 رسم "توما الأكويني" قديسا، وكان بالنسبة للكنيسة رسولا ومعلما"⁶.

1. النشار مصطفى تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج2، دار قباء للطباعة والنشر، د ط، القاهرة ،2000، ص 27.

2. المرجع نفسه، ص 27.

3. يعقوبي محمود، معجم الفلاسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، ط1، 2008، ص 19.

4. المرجع نفسه، ص192.

5. هبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط، القاهرة، 2007، ص 115

6. غالي زكي ميلاد الله في فلسفة القديس توما الأكويني، مركز الدلتا للطباعة والنشر، د ط الإسكندرية، 2000 ص9.

7. "الفارابي" : المعلم الثاني (257-870 هـ | 950م - 339م) ، أبو نصر محمد بن ممد طرخان بن أوزلع المعروف بالفارابي ، من مؤلفاته الجمع بين رأي الحكيمين " ، أي "أرسطو" و "أفلاطون و كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة¹
8. "ابن خلدون" : هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد بتونس سنة 1332م وتوفي بالقاهرة 1406م من مؤلفاته" مقدمة²
9. "توماس هوبز" : ولد عام 1588 وتوفي 1679 ، كتب كتابه العظيم الليفيتان أو السلطان القاهر ، وكان من فلاسفة العقد الاجتماعي.³
10. " جون لوك" : (1632-1704)، فيلسوف مادي إنجليزي في العصر الحديث، ف سنة 1690 كتابه بحثان عن الحكومة⁴.
11. "مونتسكيو" : (1689-1755) ، هو ناقد اجتماعي ومفكر سياسي نشر رسائل فارسية سنة 1721، وألف كتابه المشهور "روح القوانين" ونشره جنيف 1748.⁵
12. "إيمانوال كانط" : ولد في مدينة "كونجسبرج" في بروسيا الشرقية في شهر: أبريل عام 1724 وتوفي 12 شباط 1804، أهم مؤلفاته " نقد العقل العملي "ونقد العقل النظري " و "نقد ملكة الحكم⁶.

-
1. ريان أبو علي محمد، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 2000، ص 325
 2. محمود زكي نجيب، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر فؤاد كامل، وآخرون، دار القلم د ط بيروت، د ت، ص 14.
 3. ها مبشر ستيوارت عصر، العقل فلاسفة القرن 17، تر ناظم طحان، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 2، سورية 1986، ص 34.
 4. الجراد خلف معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية، د ط، الإسكندرية 2008، ص 268.
 5. كرم يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط 5، القاهرة 1119، ص.194.
 6. فروانت كرسنو، كليوفسكي أندزجي، أقدم لك كانط تر إمام عبد الفتاح إمام مجلس الأعلى للثقافة، ط 1 القاهرة 2002، ص 8.

13. هابرماس يورغن: فيلسوف وعالم اجتماع الماني ولد سنة 1929م، يعد من أبرز ممثلي المدرسة فرانكفورت من مؤلفاته " نظرية الفعل التواصلي " نظرية الفعل التواصلي سنة 1981م.¹

1. طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 687

.....	الفهرس
أ.....	مقدمة
1.....	الفصل الأول الجذور التاريخية لمفهوم المواطنة
4.....	المبحث الأول: ضبط مفهوم المواطنة
5.....	التعريف اللغوي والاصطلاحي
6.....	بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المواطنة
9.....	المواطنة في الفلسفة اليونانية
17.....	المواطنة في فلسفة العصور الوسطى
17.....	المواطنة والفكر السياسي في الفلسفة المسيحية
20.....	الفصل الثاني الإرث الفلسفي لفكرة المواطنة في العصر الحديث
23.....	الفكر السياسي عند المسلمين
19.....	المواطنة عند توماس هوبز
22.....	العقد الاجتماعي وتشكيل الكائن الصناعي
28.....	المواطنة عند جون لوك
30.....	حق الملكية والحرية عند لوك
34.....	الفصل بين السلطات
36.....	حق الثورة
38.....	المواطنة عند مونتسكيو
42.....	علاقة المواطنة بالحرية وفصل السلطات
49.....	الفصل الثالث روسو العقد الاجتماعي إلى إعداد مواطن فاضل
58.....	المواطنة كآلية لتحقيق العقد الاجتماعي
64.....	الجسم السياسي من سلطة وأشكال الحكومات
68.....	روسو والمشروع الفلسفي لإعداد مواطن فاضل
72.....	مسألة الطبيعة الإنسانية
74.....	من الإنسان الطبيعي إلى المواطن الاجتماعي

78.....	تجسيد فكرة المواطنة عند روسو وأثرها على الفلسفة اللاحقة
83.....	الخاتمة
85.....	المصادر والمراجع
92.....	روسو حياته ومؤلفاته